

مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة
ما وراء الطبيعة
74
أسطورة
أغنية الموت
د. أحمد خالد توفيق
Looloo
www.dvd4arab.com

المقدمة

لقد تلف جهاز التلفزيون ..

لم ألمسه .. فقط فكرت فى فتحه ..

يطلقــون على هــذا (تأثير بولى) ، وهــو يصــف أولئك الأشخاص الذين ليس بينهم وبين الأجهــزة الكهربية أو الأجهزة عمومًا عَمــار . لا يعنى هــذا أنهم يعبثــون بل يعنى أن مجرد وجودهم كاف لتتلف الأجهزة .. لابد أن لك عمًا أو خالة من هذا الطراز ، ويبدو أننى أنتمى لهم بشكل ما ..

يقولون إنهم يبعثون موجات غامضة تتلف الـ ... ولكن دعنا من هــذا الكلام الذى يتعذر إثباته .. كل شىء فى العالم يمكن تفسيره بهذه الموجات الغامضة .. إنها الموضة هذه الأيام ..

لقد تلف جهاز التلفزيون .. للأسف ...

المذياع أيضًا يمارس عادات غريبــة ، فلا تخرج منه سوى ضــوضاء إلكترونية مبهمة .. قــد تقــول إنها نوع من EVP أو (ظواهر الصوت الإلكترونية) التى قيل إنها أصوات الأرواح فى العالم الآخر ..

لا أدرى حقًا ..

إذن لم يبق أمامى سوى اللجوء لأقدم تسلية عرفها الإنسان منذ اختراع القراءة : القراءة .. كتاب دسم ممتع فى الفراش على ضـوء الأباجورة الدافئ .. كوب من الشيكولاتة الساخنة كذلك كأنها نخاع مذاب يتسرب إلى عظامى ...

إن الحياة جميلة .. متع بسيطة كهذه تجعلها جميلة ، وإن كـان الحـد الأدنى لمطالب الإنسـان هو المسكن الذى يقيه العواصف ، والمأكل ، والأمان ...

كتاب .. كتاب .. ساعدنى فى الاختيار ..

كلا .. ليس مطرقة الساحرات من فضلك فقد قرأته ألف مرة .. ليس أيًا من كتب (لافكرافت) لأن الرجـل يثير رعبى حتى هذه اللحظة . توفيق الحكيم ممتع وجميل لكنى أحفظ كل حرف كتبه .. وماذا عن العقاد ؟.. صعب جدًا لعقل بدأ ينعس ويتثاءب ...

هناك كتـاب عـن الجماعات الدينيـة السرية فى أوروبا فى القرون الوسطى .. بقلم (جيسون مكالستر) . لا يبدو عنوانًا مثيرًا لك لكنه يذكرنى بقصة ... قصة رهيبة نوعًا ..

أنت تذكر تلك القصة ولا شك .. (مكالستر) هو ذاته مؤلف الكتاب وهو الذى ....

ماذا ؟.. هل فقدتم الذاكرة ؟.. مستحيل أن تكونوا قد نسيتم تلك القصة .. إذن أنا أكلم نفسى منذ البداية ..

ولكن .. تصوروا أننى لم أحكها بعد !.. كيف فاتنى هذا ؟

إذن سوف نؤجل مشروع القراءة فى الفراش ، لنستبدل به مشروعًا آخر : السرد فى الفراش .. سوف أجلس تحت الأغطية وأحكى لكم تلك القصة ، وأعتقد أنها ستروق لكم ..

(مكالستر) ... أغنية الموت ...

يا لها من ذكريات !!

لسـوف أسُـود..

أنـا أسُـود ..

لقـد سُـدتُ ..

أنـا الـذى لا مملكة لى.

(العبارات المكتوبة على عجلة الأقدار)

تمهيد

الأمطار تنهمر لتغمر طرقات المدينة ..

هذا جو مناسب جدًّا لهذه الرحلة الرهيبة .

والسيارة السوداء تنهب شوارع (برلين) ، ومساحاتها لا تكف عن المحاولة المستميتة الميئوس منها لإبقاء الرؤية واضحة ..

الرجل ذو النظارة السميكة الذى يبدو كأحد ضباط الجستابو Gestapo يجلس فى المقعد الخلفى ، يرمق ظهر السائق الذى يبدو كآلة لا تتكلم ولا تتناقش ..

الرجل يبدو كضباط الجستابو لكنه ليس منهم .. بالواقع هو يموت ذعرًا منهم ..

تحسس معدته وشعر بالحمض يرتفع ببطء ..

أصلح من وضـع العوينات وتنفس بعمق .. يا له من طقس لعين .. إنه يجعلك عصبيًّا .. لا يمكن أن يتم شىء مبهج وسط السيول والرعود والبروق .. لكنها فرصتك الذهبية فلا تتركها ..

يجب أن تهدأ .. إن اللحظات التالية قد تمثل مستقبلك كله ..

* * *

تدخل السيارة شارعًا جانبيًا مـن الشوارع المرصوفة بحجر الإسـكافى Cobblestone على النمط الذى سيسود بلدان شرق أوروبا بعد الحرب . قليل من الناس من يعرف أهمية هذا الشارع ولا ما ينتظر فى رقم (6) منه. تقف السيارة المرسيدس أمام الباب فيهبط السائق متحجر الوجه ليفتح الباب لضيفه المهم .

يترجل الضيف الذى تقتله الحموضة ويجتـاز الأمتار القليلة نحو المدخل تحت الأمطار الغزيرة ، وفى النهاية ينفتح الباب ..

ذلك الضابط الشاب الوسيم يتقدم ليأخذ منه المعطف ، بينما ضابط آخر يتقدم نحـوه ليقتاده عبـر ممر أحيط على الجانبين بلوحات عالمية شديدة الجمال ، ويبدو أنها أصيلة ..

فى نهاية الممر باب مغلق يتدلى عليه العلم النازى من أعلى. العلامة الاستعمارية القوية بلونيها المميزين .. صليب (سفاستيكا) الذى كان كل إنسان يعتقد أنه سيكون علم الكرة الأرضية خلال أعوام .. الرايخ ....

ينفتح الباب ليجد أمامه غرفة مكتب حسنة التنسيق مريحة . ركن به مدفأة مشتعلة ، ومكتب فاخر ومنضدة للاجتماعات عليها بار مشروبات كامل ، والسـتائر مسـدلة تعطى جوًا عامًا من الدفء الحميم .. مكان جميل يصعب أن تصدق أنه ما هو عليه . هنا ثلاثة رجال .. هذه ملامح أرستقراطية لا تخطئها العين .. نبلاء الألزاس الذين صاروا من قادة الجستابو ...

كبيرهم هو الواقف فى المنتصف ممسكًا بكأس من الويسكى والمونوكل على عينـه ، والقـامة المفرودة التى تدل على سيد آمر .. إنه بدين نوعًا بدأ يفقـد الشعر فى مقدمة رأسه .. لغد فخيم يستريح عليه رأسه فى هيبة ...

ابتسامة شاعت على الوجوه .. هنا أدرك أنه يسمع (فاجنر) .. ثمـة جراموفـون فى ركـن المكتب عليه أسـطوانة لفاجنر.. (تنانهاوزر) ....

قال له كبيرهم باسمًا :

ــ « لو سمحت لى .. لا أعرف رأيك فى (فاجنر) .. »

قال الضيف العصبى وهو يتحسس معدته :

ــ « لا يمكن أن يكـون المـرء ألمانيًا مـن دون أن يحب (فاجنر) .. »

ــ « أتحدث عـن المنافسة المهنية ... (موتسارت) لم يحب (بيتهوفن) قـط .. وكلاهمـا عبقـرى ، فمن الجائز ألا تحب فاجنر .. »

الواقع أنه لم يحب (فاجنر) قط ، وكان يجده مفتعلاً مملاً ، لكن فى ألمانيا النازية عليك أن تأخذ الحذر فى إعلان ما تحب وما لا تحب . لقد بالغ كثيرًا فى الخوف وفى التخفى ليصير مثل

الجميع ، حتى لم يعد يعرف ما يحبه وما يكرهه حقًا .. إنه يحب ما يحبه الحزب النازى ويكره ما يكرهه .. حتى صار يسأل نفسه إذا نظر لفتاة حسناء : هل كانت الفتاة ستروق لهتلر ؟.. لو كانت الإجابة بنعم وقع فى حبها ، وإلا كرهها بجنون ..

قدموا له كأسًا فأمسكه بيد عصبية بينما جلس الجنرال عظيم الشأن ووضع ساقًا على ساق ، وقال فى استرخاء :

ــ « سمعتُ ما كتبتَه من موسيقا بدلاً من ذلك المدعو (مندلسون) .. أهنئك .. »

ــ « شكرًا يا جنرال .. »

ــ « هناك من رفضوا أن يكتبوا بدلاً منه ، لكنهم بهذا يفضحون عداءهم للفوهرر وللرايخ .. »

ــ « أنا ابن الرايخ المخلص يا جنرال .. »

ناول أحد الضباط الجنرال مجموعة من الأوراق تفحصها وهو يرشف الويسكى ، ثم نظر للضيف بعينيه الزرقاوين الثاقبتين وقال :

ــ « إن الرايخ مهتم بهذا الاكتشاف الأخير .. لكن السؤال الذى يطارد الجميع هو : لماذا لم تتأثر أنت بهذه الموسيقا ؟ »

كان على استعداد لهذا السؤال لأنه تلقاه مائة مرة من قبل ، فقال :

ــ « يبدو أن طباخ السم لا يذوقه .. أو أن لدى مناعة معينة .. »

ابتسم الجنرال وقال :

ــ « نحن درسنا الموضوع فى حذر .. ويمكن القول إنه صحيح تمامًا ، وإنه كذلك خطر جدًا .. هذا لعب بالنار على أعلى مستوى .. لقد فقدنا خمسة من رجالنا .. وقد أوصى الفوهرر شخصيًا بأن نوقف المشروع .. سوف ندمر كل هذه الأوراق ونمنعك رسميًا من التعامل معه .. »

هز الضيف رأسه .. كان يتوقع هذا برغم أنه كان يأمل فى أن تتبنى الحكومة هذا الموضوع.. كان هذا يجعله أهم شخص فى ألمانيا بعد هتلر .. لكن .. لربما كان هذا أفضل .. وبالفعل شعر بالحمض يهبط فى المرىء إلى المعدة ليستريح هناك ، بعد ما أحرق نصف الأغشية التى تعلوه ..

قال الجنرال :

ــ « ما هو تفسيرك لهذه القصة العجيبة ؟ »

ــ « هؤلاء القوم كانوا يعرفون أشياء كثيرة .. »

ــ « أنت قمتَ بإعداد العديد من هذه المقطوعات .. تقول إن الجوليارد Goliards هم من كتب هذا الكلام ؟.. ثم وجدها باحث ما فى دير بافارى قديم عام 1803 .. »

ـ « دير بندكتبويرين Benediktbeuern يا جنرال . .. »

ـ « ألمـــانيا كلهـــا وقعـــت فى غـــرام (كارمينــا بورانـــا Carmina Burana) .. إنها رائعة لكن فيها كذلك شيئًا شيطانيًا .. هل تعتقد أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون الشيطان ؟ »

ـ « لا أدرى يا جنرال .. لكنهم كانوا مارقين من المسيحية بلا شك .. »

أشعل الجنرال سيجارًا غليظًا جديرًا بمنظره فعلاً ، فانبرى الضابط الوسيم يشعله له .. نظر لطرف السيجار فى رضا واستمتاع ثم قال :

ـ « فى البداية كنا متحفظين .. نغمة الشهوانية عالية جدًا فى بعض هذه المقطوعات ، لكن اللحن الذى وضعته أنت يحرك دماء الحماس لا الشهوة فى العروق .. هذه الضربات هى خطوات الرايخ نفسها .. »

الحقيقة أن الضيف العصبى كان قد لحن الجزء الوحيد الممكن من هذه المخطوطات. الجزء الباقى جمد دمه فى العروق لأنه خليط فريد من الشهوة والجنس والهرطقة والسخرية من الدين..

لكن الجزء الذى جـــاء بسببه الآن هو بداية المشكلة .. هو اللحظة التى عـــرف عندها أن الأمر أكبر منه بكثير .. بعد أشهر قليلة سوف يحرر العلماء الأمريكيون الطاقة من الوحش الناعس

فى نواة الذرة ، ولسوف يصيبهم الذعر من الهول الذى أطلقوا سراحه .. نفس شعوره منذ أعوام ..

عندها قرر أن يلجأ لمن هو أكثر منه علمًا أو قدرة .. لجأ إلى الجيستابو ..

وقد اقتضى الأمر الكثير من البحث ، حتى أدركوا أنه من الخير أن يتم دفن هذا السر الخطير للأبد . فلنكتف بالجزء الذى عرفه العالم من السر .. إن (كارمينا بورانا) هى المقطوعة الوحيدة التى اشتهرت فى ألمانيا النازية ، وبرغم هذا سوف تظل خالدة حتى اليـــوم .. كـــأن روعتهـــا جعلتها شمسًا لا يمكن تغطيتها أو دفنها ... النغمات الساحرة حطمت كل أسوار الرقابة ..

عام 1937 كتب الضيف لناشر موسيقاه يقول :

ـ « بهـــذه المقطوعة الجديدة ، يمكنك أن تتخلص من كل ما كتبته مـــن موسيقا قبـــل اليوم .. هذه هى البداية الحقيقية لموسيقاى .. »

وهو ما حدث فعلاً ..

لقد كانت نبوءة لا تنسى ..

* * *

كان اسمه (كارل أورف Karl Orff) ...

كـل عشاق الموسيقا يعرفونه ويعرفون كذلك أنه تعاون مع النازيين . الحقيقة أن هذا منطقى .. النازيون كانوا هم حكومة بلاده وقتها ، ولم يكن أحد ليطالبه بأن يتحول إلى شهيد .. لا تتوقع أن يملك موهبة موسيقار عظيم مع شجاعة فارس كذلك ...

الحقيقة أن الرجل كان هشاً ، وكان أقل من فارس بكثير جدًا ..

كـان له صديق يدعى (كورت هوبر) .. ولم يكن يعرف أن صديقه هـذا معـاد لهتلر ، ومؤسس لحركة مقـاومة اسمها (الوردة البيضاء) . لم يكن أورف يعرف هذا كله عندما ذهب لدار صديقه فى ذلك اليوم من عام 1943 ..

وجد مأساة إغريقية .. زوجـة تبـكى وتولول ، وقد انتثر شعرها على وجهها وامتزج بالعرق والمخاط والدموع ...

ــ « لقد قبضوا على (كورت) ..! »

ــ « والسبب ؟ »

ــ « إنه يرأس جماعة سرية تحاول القضاء على هتلر ! »

عندها استدار نحو البـاب بلا كلام ، فركضت خلفه وارتمت على ركبتيها متمسكة بتلابيبه :

ــ « أرجوك !.. أنت قادر على إنقاذه .. إن الفوهرر يحبك .. أنت رجل مهم فى ألمانيا اليوم ..! »

المشهد يتحول من مأساة إغريقية إلى لوحة من لوحات الباروك ..

كان لسان حاله يقـول (يا روح ما بعدك روح) . لو انكشف أمر صداقته لـ (هوبر) فالويل له .. فى هذا الوقت كانت أسلاك البيانو باهظة الثمن ، لأنها كانت تستخدم لشنق معارضى هتلر على أعمدة النور فى الشوارع .. يمكن دائمًا الاستغناء عن مؤلف موسيقى عبقرى ، فالفوهرر يؤمن أن ألمانيا (ولادة) ..

ــ « أنت مجنونة ! »

وركلها بطرف حذائه ليبعدها ، وسرعان ما كان يركض فى الطرقات وهو يضم ياقة معطفه على أسفل وجهه .. لقد انتهى (هوبر) بالتأكيد .. لا توجد قوة على الأرض يمكنها إنقاذه ..

بهذه البساطة تخلى عن صديق.. لكن هل أنت قادر على لومه حقًا ؟.. الأبطال لا يوجدون فى كل مكان وكل زمن .. لهذا هم نادرون ولهذا تكتب عنهم الملاحم ..

على أن ضميره ظـل يعذبه طيلة حياته لأنه تخلى عن هذا الصديق الذى أعدم فعلاً ..

* * *

كان كـــارل أورف أول من عرف السر الذى دفن منذ القرون الوسطى(*) ..

هذا جبل جليد ، يطفو فوق الماء جزء صغير جدًا منه اسمه (كارمينا بورانا) .. جزء خلاب جميل يعشقه الجميع ، لكنهم يعترفون كذلك بأنه غامض رهيب ...

لكن الجزء الغائص تحت الماء لم يُدمّر بالكامل .. النازيون حسبوا أنهم فعلوا ، لكن هذا لم يحدث ، ولربما كان هناك من تعمد ألا يدمره.. وكانت هناك سفن عديدة موشكة على الاصطدام به ..

(*) ما ذكر عن كارل أورف صحيح طبعًا ، وقد كان علاقة قوية بالنازيين ، لكن موضوع السر الذى عرفه خيال قصصى ..

الجـــزء الأول

الرحـــلة 345

-1-

لا أخاف الطيران بشكل خاص ...

القضية هنا هى أننى أعرف أن كل شىء سينتهى على الأرجح بسرعة البرق .. عندما تقرر الطائرة أن تسقط ، فلن نقضى وقتًا طويلاً فى معرفة هذه الحقيقة العظيمة .. قد تنفجر فى الجو أو تنشطر شطرين وتهوى .. على الأرجح لن نرى لحظات متوترة مفعمة بالإثارة كالتى نراها فى أفلام الكوارث الهوليوودية ، حيث تركض المضيفة بين المقاعد شاحبة الوجه تردد :

― « لا تقلقوا .. كل شىء على ما يرام .. الكابتن ممتاز ويعرف كيف .... »

قبل أن يحدث مطب هوائى فتسقط صارخة على وجهها قبل أن تكمل ..

كذلك لا أخشى كثيرًا هؤلاء الملثمين المدججين بالسلاح الذين يفجرون رأس ضحية كل ربع ساعة ، ويرغمون الطائرة على الهبوط فى قبرص .. لا شىء فى شخصى يغرى بتفجير الرأس ... لاحظ أننا كنا فى عصر خطف الطائرات وما قبل أجهزة الكشف عن المعادن ، حيث كان يمكنك ركوب الطائرة بدبابة كاملة تخفيها فى حقائبك .. لكن هذا لم يكن يقلقنى ..

لو حدث شىء فلسوف يحدث بسرعة .. يعنى لن يستغرق وقتًا أو رعبًا أكثر مما تسببه نوبة قلبية ..

لا أخاف الطيران وقد ركبت الطائرة عشرات المرات ، لكنى أحتفظ لنفسى بالحق فى نوع خاص من الرعب النفسى هو الكلوستروفوبيا Claustrophobia .. الخوف من الأماكن المغلقة. أنت فى أنبوب معدنى محكم الغلق .. لا أرض تحتك .. لا يمكنك الخروج .. هل تجد وضعًا آخر أقرب إلى القبر ؟.. عليك تحمل الرحلة فوق السحاب لعدة ساعات والسقف منخفض يوشك على ضرب رأسك .. هكذا أشعر بتوتر وبأن أنفاسى عسيرة تدخل وتخرج مع كثير من الكفاح ...

هذه مشكلتى الخاصة ، ولهذا ندر أن أقوم برحلات طويلة .. ولا أفهم هؤلاء الذين يذهبون للولايات المتحدة عشر مرات فى اليوم الواحد ليتحملوا ما يربو على عشر ساعات فى هذا السجن .. ولهذا أيضًا أبتلع بعض أقراص المنوم والمهدئ قبل الرحلة لأنام كجثة هامدة فلا أصحو إلا عندما تأتى لحظات الهبوط الدرامية المتوترة ..

إذن قل لى بربك لماذا قصدت الولايات المتحدة فى ذلك اليوم ؟

* * *

كان مؤتمرًا مهمًا فى أمراض الدم ، وقد طلبونى بالاسم مع كافة التسهيلات .. أنت تعرفنى كطارد أشباح وتعرف القليل جدًا عن عملى العلمى ، لكن دعنى أؤكد لك إنه لا بأس بى . بعض الأبحاث مهمة جدًا ، دعك من علاقات قوية مع أساتذة الغرب مما يجعلهم يتذكروننى فى كل مرة .. لولا هذا لما استطعت السفر إلا إلى أول شارعنا كما تعلم .. النتيجة هى أننى رأيت العالم فعلاً وهذا أهم شىء حققته فى حياتى ....

أنت تعرف أننى أمقت الولايات المتحدة .. كل شىء ضخم .. كل شىء جديد ..كل شىء باهظ الثمن .. لا يوجد تاريخ تقريبًا .. معظم الأمريكيين لطفاء ودودون لكنهم يتحركون ككل بشكل مزعج يؤذى الشعوب الأخرى ..

كنت جالسًا فى الطائرة وأنا أربط الحزام حول خصرى مرددًا دعاء السفر ، منتظرًا لحظة انفجار الطائرة عند الإقلاع كالعادة ، عندما رأيت الرجل الجالس جوارى ..

كان ينظر لى فى ثبات وقد شاعت ابتسامة ودود على وجهه ..

اللعنة !.. إنسان ودود سوف يرافقنى طيلة الرحلة !.. أسوأ كوابيسى يتحقق .. لن يخرس لحظة واحدة .. فقط فلنأمل أن يلعب حاجز اللغة الدور المطلوب كى ....

ــ « جيسون مكالستر ... »

صحيح .. صحيح .. لو لم تكن هذه ملامح أسكتلندية فأنا فليبينى .. المشكلة أن سرعة بديهتى خذلتنى .. مددت يدى مصافحًا ، وكان على أن أتظاهر بأننى لا أعرف الإنجليزية ..

ــ « رفعت إسماعيل .. طبيب مصرى .. »

نظر لى ثم قال :

ــ « المرة الأولى بالطائرة ؟ »

هنا فطنت إلى أننى أبدو متوترًا .. طبعًا السبب هو رُهاب الأماكن المغلقة .. لكن ليس الطيران طبعًا ، لكنى رددت بما يوحى بأن الأمر قد يكون كذلك وقد لا يكون كذلك ..

ــ « أنا إسكتلندى .. »

ــ « جميل .. »

وأخذت شهيقًا عميقًا وأرجعت رأسى للوراء ..

المضيفة تقف فى الممر وقد لفت سترة النجاة حول صدرها ، وقد كانت العادة فى ذلك الوقت أن ترينا المضيفة بنفسها بدلاً من عرض فيلم .

سوف يرتفع هذا القبر الطائر وسيكون على أن أتحمل بضع ساعات دون أن أختنق . المهم أن يتركنى هذا الرجل الودود فى حالى .. أموت خوفًا من هؤلاء الودودين .. إنهم مرعبون دائمًا ..

أدرك بعد قليل أننى لن أتكلم وأننى أسوأ جار مقعد ممكن ، هكذا مد يده فى حقيبة يده وأخرج كتابًا صغيرًا ذا غلاف سميك Hard cover وراح يقرأ ..

الطائرة تركض على الممر جريها المجنون الذى لا يمكن إيقافه ..

أغمض عينى وأنتظر الشعور بألم الأذنين .. ها هو ذا .. آى !.. نحن نرتفع ..

أخيرًا تستقر الأمور فأفك الحزام ..

لقد غرق جارى فى الكتاب الذى يطالعه ، وأنا من الطراز الذى لا يرى شخصًا يطالع كتابًا من دون أن يعرف اسمه .. هكذا رحت أختلس النظر بطرف عينى .. براق ... قراءته ليست سهلة ..

(مكالستر)

بخط كبير جدًا .. هـــذا ليس عنوانًا .. إنها العـــادة الغربية الشهيرة فى كتابة اسم المؤلف أكبر من عنوان الكتاب ذاته .. (جيمس مكالستر) ... الجماعات الدينية السرية فى أوروبا فى القرون الوسطى.. هذا هو العنوان وهو لا يدعو للحماس ..

لكن أين سمعت هذا الاسم (مكالستر) من قبل ؟.. سمعته منذ وقت قريب جدًا .. يبدو كذلك إننى أعرف صاحبه جيدًا ...

ذاكرتى لم تعد على ما يرام هذه الأيام .. ربما بكثرة الهموم .. لكنى سأتذكر .. فقط لأتوقف عن البحث وسوف تحط ذبابة الذكرى الخضراء على ساعدى من تلقاء نفسها ...

طلبت من المضيفة الشمطاء التى تمقت نفسها والكون والبشر والقطط الصغيرة والأزهار .. طلبت منها كوب ماء فنظرت لى فى احتقار ، ثم جلبته لى ، فدسست قرصًا منومًا فى فمى وابتلعته ..

رحت أجول بنظرى بين الركاب .. هذه السيدة فائقة الحسن مصرية بالتأكيد .. جمالها لا يوصف ولا يمكن تصديقه ، ولعلها كانت أقل سحرًا منذ عشر سنوات .. لو كنت أنا أصغر عشرين عامًا لــ .. لــ ... لما فعلت شيئًا أكثر مما أفعله الآن .. أنظر لها ثم أتنهد وأغمض عينى منتظرًا رحلة النعاس ..

سوف أصحو فى الجانب الآخر من المحيط الأطلنطى أو فى القبر ..

سأعرف هذا بعد عدة ساعات ..

-2-

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

* * *

كانت (فاتن الشرقاوى) تعيش أكثر الأيام إثارة فى حياتها ..

فى الأربعين من العمر .. جميلة جدًّا كما تبلغ التفاحة ذروة روعتها قبل أن تذبل .. ذات منصب علمى مرموق ، والرجال يعتبرونها حلمًا يمشى على قدمين ، فهى شديدة الذكاء واللباقة .. لكنها استطاعت أن تشعر الرجال أنها أعلى منهم وأبعد ..

الأجمل أنهم كفوا فعلا عن مضايقتها .. لم تعد ترى ذلك الرجل الأبله أو ذاك الذى يلاحقها برعايته ولطفه آملاً أن تغير رأيها. لقد قرر الرجال أنها أكبر منهم جدًّا وأنه :

هى الشمس مسكنها فى السماء

فعز الفؤاد عزاء جميلاً

فلن تستطيع إليها الصعود

ولن تستطيع إليك النزولا .

وقد أرضاهم أن أحدهم لن يفوز بها .. هذه مساواة فى الظلم ، وهى نوع خاص جدًّا من العدل كما تعلم ..

قررت أن المرأة تتزوج كى تظفر بطفل أو يرعاها رجل ماديًّا أو لأنها تهاب الوحدة .. كل هذه الأسباب لا تمثل لها أية أهمية .. على كل حال كانت قد فقدت فهم هذا الشعور المسمى بالحب .. وقد قدرت أن أمامها خمس سنوات قبل أن تفقد الفرصة فى الإنجاب .. ولو أنجبت فى تلك الفترة فالخطر داهم .. خطر عليها وعلى الجنين الذى قد يصل العالم مشوهًا ليهديها كارثة ليست بحاجة لها. أما عن المال فدخلها يكفيها ويفيض ..

كانت تعيش وحدها ، لأنها شعرت أن هذا ما ينبغى عليها كامرأة واثقة من نفسها لا تخشى شيئًا .. لكن الحاجة إلى رفيق أو ربما هو الخوف جعلاها تقتنى كلبًا مرعبًا من طراز (الراعى الألمانى) . كان خير رفيق لها فى وحدتها فى اللحظات التى لا يقضى فيها حاجته داخل الشقة .. عندها تكون كارثة فعلاً ..

كانت مدرسًا للتاريخ فى كلية الآداب ، ولها حضور لا بأس به فى المنتديات والندوات .. تعرف كيف تنزل نظارتها على قصبة أنفها وتنظر للناس من فوق الإطار العلوى لتبدو مؤثرة .. تعرف كيف تبدو منهمكة .. وكانت تعرف كيف تبدو أنيقة ساحرة لهذا اختارت لنفسها التايور كزى دائم . ولها صداقات عديدة مع حشد من الأدباء والنقاد والأكاديميين ، كما أنها تقوم بإعداد برنامج

إذاعى مهم بالبرنامج الثـانى .. وفى ذلك الزمن كان البرنامج الثانى شيئا مهيبًا شديد الرقى .. كانت فكرة هذا البرنامج هى تتبع الأصل التاريخى للمقطوعات العالمية الشهيرة ..

الخلاصة أنها نظرت لنفسها فى المرآة وقالت : ما تحصلين عليه يا فاتن من إعجـاب وتقدير يغنيانك عن أى رجل مهما كان .. أنت كائن مكتمل فلا تفسدى هذا ...

رأت الخادمة العجوز تنظف الغرفة خلفها فكفت عن النظر للمرآة ..

سألتها الخادمة :

ــ « هل تريدين شيئًا آخر يا دكتورة ؟ »

قبـل أن ترد دق جـرس البـاب فاتجهت الخـادمة لتفتحه ، ثم عادت بعد ثوان لتقول :

ــ « طرد باسمك يا دكتورة .. لابد من توقيعك .. »

اتجهت للباب وتناولت الطرد من ساعى البريد ..

لم تنظر للرجل لكنهـا تقبلت فى رضا ارتباكه من كل هذا السحر الذى برز له من الباب .. لقد اعتادت هذه الأمور..

من أرسل لى هذا الطرد ؟

لم تتبين اسمًا واضحًا على الغلاف ، فوقعت للرجل وأخذت الطرد للداخل ..

مزقت الغلاف بسكين فوجدت بالداخل شريط كاسيت .. شريط كاسيت تم لفه بعناية بالبلاستيك ، ومعه رسالة تقول :

« يسرنى أن تسمعى هذا النشيد فإذا راق لك أرجو أن تذيعيه فى برنامجكِ ــ د. عمران المحلاوى .. »

(عمران المحلاوى) ؟.. لم تسمع هذا الاسم من قبل والأهم أنه غريب نوعًا .. له وقع غير واقعى على الأذن .. لكن من الواضح أن صاحبه مهتم بالموسيقا الكلاسية ..

فتحت جهاز الكاسيت ودست الشريط وانتظرت لحظة ...

* * *

هل هذا حقيقى ؟

هل هى تسمعه فعلاً ؟

هذه الأصوات القادمة من لا مكان .. من حنجرة الكون ذاتها ، ومنذ زمن سحيق .. ربما هى أصداء الانفجار الأعظم الذى شهد مولد الكون ..

هل هى شهقة ديناصور صغير خرج من البيضة للمرة الأولى ؟.. أم نشوة رجل كهف هوى البرق ليحرق جذع شجرة أمام عينيه ، فرأى معجزة النار ؟.. هل هى أغنية كاهنات (سيلكت) وهن يشرفن على حرق البخور والمُرّ فى غرفة التحنيط ؟.. أم هى رقصة سالومى بأثوابها السبعة أمام عينى (هيرود انتيباس) الذى قطع رأس (يوحنا المعمـــدان) من أجلها ؟.. أتراها أنشودة من أجل (عشتار) ؟.. أم هى تراتيل غامضة لكهنة دير فى الجبل فى القرون الوسطى ؟

الإنشاد باللاتينية .. لا شك فى هذا .. لاتينية قديمة جدًا .. ماذا يقولون ؟

حكت رأسها محاولة تذكر أين سمعت هذا من قبل ؟

شىء قريب نوعًا من (كارمينا بورانا) لكنها أجمل بكثير ..

صـــوت الجوقة الأوبرالى يتصاعد حتى يبلغ الثقـــوب السود والمجرات ثم يهبط .. يهبط .. يهبط حتى أعماق المحيط ليتوغل فى حطام التيتانيك ويوقظ أخطبوطًا غافيًا فى شعبة مرجانية ما .. إنه يتوغل أكثر من هذا .. إنه يتوغل فى قلب الأرض ذاتها ليهز طبقات الماجما ...

أغلقت الكاسيت لأن كل هذا الجمال قد هزها من الداخل ..

لقد دار رأسها ..

للجهاز العصبى البشرى قدرة على التحمل يحترق بعدها ، وقد قرأتْ أن الكم الزائد من أية حاسة يحدث ألمًا لا شك فيه ، لهذا يمكن لصوت صاخب أو ضوء ساطع أن يحدث ألمًا مروعًا ..

هذه الروعة آلمت روحها وأدمتها ..

وعندما دخلت فراشها كانت ترتجف فعلاً...

نحن لا ندقق كثيرًا فيما يحدث حولنا ، ولو كانت أكثر دقة لسألت نفسها : أين الكلب ؟.. لماذا توارى تحت مائدة غرفة الطعام ودفن أذنيه بين قائمتيه كأنه لا يريد أن يسمع أكثر ؟.. لقد توقف النشيد منذ زمن فلماذا يصر على البقاء حيث هو ؟

أشياء كهذه لا يلاحظها الناس بسهولة ..

* * *

استمع د. (سامى الحفناوى) أستاذ الكونسرفتوار إلى الكاسيت مرتين ، ثم قال لها :

ـ « رائع لا شك فى هذا .. لكن معرفة أصوله شبه مستحيلة .. »

وضعت قدح القهوة على المنضدة وقالت :

ـ « لكنه باللاتينية والتركيب العام قريب نوعًا من كارمينا بورانا .. »

— « أورف لم يكتب هذا ... أنا متأكد .. »

ثم حك رأسه وفكر قليلاً :

— « لا شك فى أن له أصولاً وسط أوروبية .. ربما ألمانيا بالذات لكن من المستحيل التأكد من هذا .. أعتقد كذلك أن عليك استشارة من يجيد اللاتينية .. »

قالت باسمة :

— « لكن من الذين يغنون ؟؟ هذا الشريط لم يسجل فى القرون الوسطى .. »

— « هى فرقة أوروبية كما هو واضح .. أعتقد أن الإجابة عن سؤالك تكمن فى إجابة واحدة : عمران المحلاوى .. من هو ؟.. لماذا أنت بالذات ؟ »

— « السؤال الثانى أسهل .. لأن لدى برنامجًا إذاعيًا .. »

— « ولماذا يريد أن يذيع هذه الأنشودة ؟ »

— « إنها الرسالة المقدسة للجمال : فليرنى الكون .. فليرنى الناس .. يقولون إن الماس النادر يزوى ضوؤه عندما يوضع فى صندوق مغلق ولا تراه العيون .. »

— « رأيك لن يروق للمحافظين .. معنى هذا أن على النساء أن يمشين عاريات فى الشوارع وإلا ذبل جمالهن .. »

قالت ضاحكة :

— « لا أتكلم عن النساء بالله عليك .. أتكلم عن أروع نشيد سمعته فى حياتى ولابد للجميع أن يسمعه .. »

ثم وضعت الشريط فى علبته ووضعته أمامه على المكتب :

— « هل يمكن أن نذيعه فى البرنامج ؟ »

— « المشكلة أنه ليس لديك أى شىء يقال عن هذه الأنشودة على الإطلاق .. لا تعرفين اسمها ولا مؤلفها ولا ماذا تقول ولا من يغنون.. أية قيمة تقدمينها للمستمعين ؟ »

— « المقطوعة ذاتها .. »

دس الشريط فى جيبه وقال :

— « هل لديك نسخة أخرى منه ؟ »

— « لا .. لكنى أثق بك .. أنت منظم ..لا شىء يضيع معك سوى الذكريات .. »

ابتسم فى مرارة ونهض ...

* * *

كان يمكن لكل شىء أن يمضى بانتظام لولا الهاجس ..

لماذا عندما مر بتلك البناية العتيقة فى وسط القاهرة ، تذكر صديقه (عبد الظاهر) ؟..

هو لم يره منذ أعوام ، لكنه شعر بحاجة ماسة لأن يقابله اليوم ..

أوقف سيارته أمام البناية وترجل ..

منظره غريب فعلاً بقامته القصيرة ورأسه الصلعاء والشعر الذى ينسكب من جانبى الرأس على كتفى سترته زاهية الألوان .. كان موشكًا على تعليق لافتة تقول : فنان عبقرى .. ابتعدوا ..

مكتب (عبد الظاهر) فى الطابق الخامس .. دخل المصعد العتيق .. مصعد من الطراز الذى تغلق بوابة حديدية عليك من خارجه. أغلق الباب .. هنا رأى امرأة تهرع مذعورة لتلحق به ..

منكوشة الشعر جاحظة العينين .. كأنها خرجت لفورها من حريق .. إن النساء لم يعدن جميلات كما كن فيما سبق .. يسهل لهذه السيدة أن تصير بطلة فيلم رعب ..

أوقف المصعد وفتح لهـا الباب وكـاد يضغط الزر ، لولا أن ظهر رجل يركض مسرعًا وسرعان ما اندس فى المصعد معهم .. ثم ظهر رجل ثالث ...

سأل د. سامى السيدة فى تهذيب :

ـ « أى طابق ؟ »

قالت بسرعة وبطريقة غريبة :

ـ « أى شىء .. أى شىء .. »

ما معنى هذا ؟.. من حق الناس أن يجنوا لكن ليس على حسابى .. وأنت أيها السيد ؟

قال السيد المذكور :

ـ « الطابق الثالث .. لا .. ليكن السادس ! »

هذا يوم المجانين إذن .. لا أحد يعرف إلى أين يذهب ولا لماذا ..

أما الرجل الثالث فكان محددًا .. يريد الطابق السادس ..

ضغط الأزرار . وببطء تحرك الوحش العملاق النائم يحرك مفاصله الصدئة .. يرتفع .. يرتفع ..

لماذا يريد (عبـد الظاهر) ؟.. فعـلاً لا يعرف .. لكنه نازع خفى جعله فى أمس الحاجة لأن يقابله اليوم ..

الوحش يرتفع .. يرتفع ..

ثم يتوقف .. ما هذا ؟.. ليس هذا طابقًا .....

هل تعطل أم ....؟

ثم أدرك الثلاثة بعد لحظة الغباء المتوقعة أنهم يهبطون بسرعة .. بسرعة لا تصدق ..

لقد انقطعت سيور المصعد وهو الآن يهوى من ارتفاع أربعة طوابق كاملة !!

* * *

-3-

نونك أويدورات

إتونك كيورات

لودو منتيس آسييم

* * *

فرغت (فاتن الشرقاوى) من إملاء بياناتها هاتفيًا لموظفة شركة الطيران ..

سوف يكون موعد الطائرة مساء غد ..

أشعلت لفافة تبغ وراحت تنفث الدخان فى أناقة وهى ترمق صورتها فى المرآة . كانت قد اعتادت أن تلقى نظرة على صورتها فى كل عمل تقوم به للتأكد من أنها مطابقة للشروط الجمالية . لدرجة أنها كانت تتمنى فعلاً لو التقط أحد صورة لها وهى نائمة لتعرف كيف تبدو ..

لماذا الولايات المتحدة الآن ؟

لا تعرف .. هناك تلك الرغبة العارمة كى ترى (أورلاندو) .. لديها صديقات هناك ، وهى لم ترهن منذ أربعة أعوام .. لقد زارت الولايات عدة مرات من قبل ، لكنها مندهشة من هذا الحنين المفاجئ ..

كادت تنسى شيئًا ..

اتجهت لساعة الهاتف وطلبت أرملة د. (سامى) ..

ـ « (نبـال) ... أنا مسـافرة غـدًا إلى الولايات .. بعض الأعمال .. هل تريدين شيئًا ؟ »

جاءها الصوت المبحوح للأرملة الشابة التى تصغر زوجها بعشرين عامًا :

ـ « أنا بحاجة لك يا (فاتى) .. هل هذا أفضل وقت ممكن ؟ »

قالت فى شىء من الحرج :

ـ « إن هو إلا أسبوع .. أعرف أنك قادرة على العناية بنفسك فى هذا الوقت .. »

الحوادث تقـع فى كـل يـوم .. لكن ندرة الحادث وغرابته تجعلانه مؤلمًا أكثر من سواه . لو أن د. (سامى) مات فى حادث سيارة لكان الأمر أسهل نسبيًا .. أما أن يموت فى حادث سقوط مصعد فهذا يطرح أسئلة قاسية : لماذا هو بالذات ؟.. لمَ لمْ يؤجل ركـوب المصـعد بعض الوقت ؟.. ليته صعد فى الدرج أو ألغى الزيارة أصلاً ...

كان صديقه (عبد الظاهر) ينتظر ركوب المصعد فى الطابق الأرضى عندما دوى الانفجار وتهاوى كل شىء وتصاعد الغبار ليخنق الجميع ... وقف بعيدًا يسعل ويبصق .. وعندما جاء رجال الإسعاف وعندما رأى هو الجثة المهشمة الراقدة على المحفة عرف على الفور أن هذا صديقه أستاذ الموسيقا ..

قاسٍ جدًا أن تعرف ..

المعرفة التى تأتى بعد فوات الأوان .. وبشكل ما ، ما زال عبد الظاهر يشعر بأنه سبب موت صديقه ..

مع الفقيد توفى رجل وامرأة أحدهما من سكان البناية ..

كان هذا قاسيًا بالفعل ، خاصة أنها كانت معه قبل ذلك بيومين ..

هناك نقطة لا تجسر (فاتن) على السؤال عنها وهى السؤال عن شريط الكاسيت. كما قلنا هى لم تحتفظ بنسخة منه. معنى هذا أنها فقدت شيئًا بالغ الأهمية ، وبالطبع لن تتصل بالزوجة الأرملة لتسألها :

ـ « وفاة زوجك محزنة فعلاً .. لكن ـ بالمناسبة ـ ألم يترك شريط كاسيت لى قبل وفاته ؟ »

طبعًا مستحيل ...

هكذا اعتبرت أن هذا الشريط الرائع قد ضاع للأبد .. لكن .. الأمل الوحيد هو أن يتصل بها (عمران المحلاوى) هذا ، ثانية ويمنحها لمحة أخرى من الحقيقة ..

هكذا نسيت كل شىء وراحت تعد حقائبها .. حصلت على إجازة من كل ارتباط لها وحمدت الله على أنها ليست متزوجة ، وإلا لكان عليها أن تجد حلاً لأولادها وزوجها طيلة فترة السفر ..

إنها مرهقة على كل حال ، ووتيرة الحياة لا تتغير .. لا شك أن زيارة الولايات القصيرة هذه يمكن أن تنعش حياتها من جديد ..

كانت موشكة على وضع مجموعة من المجلات فى الحقيبة ، عندما رأت على غلاف إحدى المجلات كهلاً أصلع قبيحًا ينظر للكاميرا فى شك ، مع تعليق يقول :

ـ « د. رفعت إسماعيل يقول : توقف برنامج بعد منتصف الليل خطأ إدارى .. »

كانت قد سمعت بسبب الفضول حلقة من هذا البرنامج ، وهو قائم على تلقى تجارب المستمعين الخوارقية على الهواء .. بدا لها رفعت هذا ساخرًا أكثر من اللازم وله صوت مزعج ، كما أن البرنامج بدا لها سخيفًا يقوم على تكريس الخرافة فى نفوسنا لا محاربتها ..

لعله خبر جميل أن يتوقف هذا الهراء ..

جاءت الخادمة العجوز تساعدها فأصدرت لها تعليماتها أثناء السفر .. التعليمات تتلخص فى : العناية بالكلب .. العناية بالكلب .. العناية بالكلب ..

قالت الخادمة :

ـ « إنه مريض .. »

ـ « من قال هذا الكلام الفارغ ؟ »

ـ « أنت تعرفين أنه مريض يا دكتوره .. لا يأكل .. لا يلعب .. لا يعمل مثل الكلاب .. »

قالت (فاتن) فى نفاد صبر :

ـ « هذا لا يدل على شىء .. ليس مبررًا لتركه يموت جوعًا .. اعتنى به ولو شعرت أنه مريض فعلاً فلتطلبى الدكتور (شفيق) .. لا أريد أن أعود لأجده قد مات هو الآخر .. »

مثل (سامى) .. المعنى واضح لكن من القسوة قول شىء كهذا ..

هزت الخادمة رأسها موافقة وأسلمت أمرها لله ، فهى بالفعل تخشى هذا الكلب وتمقته .. لماذا يربى الناس شياطين ضخمة ويطعمونها ويحضرون لها الطبيب عندما تمرض ؟

على كل حـــال هى تدرك جيـــدًا أن مخدومتها فاتنة .. تعيش وحدها .. هى فعلاً بحاجة لشيطان كهذا كى يحميها ..

وهكذا فى مساء اليوم التالى كانت (فاتن) فى المطار ، فى طريقها لرحلة لا لزوم لها إلى الولايات المتحدة ....

* * *

-4-

إيجستاتيم

بوتستاتيم ..

ديزولفيت أوت جلاسيم ..

* * *

لم تكن الجولة فى (خـــان الخليلى) سهلة بسبب كل هذا الزحام ، لكن (مادلين) كانت فارعة القامة قوية البنيان ، واستطاعت أن تفسح لنفسها حيزًا يسمح باختراق الزحام ..

(موريس) كان يركض من خلفها وهو يلهث .. مستحيل أن تشترى كل شىء وأن تبتاع تذكارات للجميع بهذه السرعة قبل الموعد ..

كانت بحاجة إلى أهرام .. أكثر من مسبحة .. جلابيب .. تمثال صغير لأبى الهول. كل هذا فى فترة وجيزة لا تتجاوز ساعتين ..

كانا قد جاءا إلى مصر فى شهر العسل .. التجربة الرومانسية الجميلة لشابين مفعمين بحب الحيـــاة ، والعجيب أنهما كانا غريبين منذ شهر .. فى المجتمع الغربى الذى يعيش فيه الحبيبان عدة أعوام معًا قبل أن يقررا الزواج ، يغدو من الغريب أن يتعارف شابان لفترة أقـــل من شهر قبل أن يتزوجا .. لكنهما

التقيا وعرفا أن مصيرهما واحد فلا داعى لإضاعة الوقت .. هكذا تزوجا وهكذا جاءا لمصر ..

كانا يتوقعـــان أن يجدا النيل ترسو به واحدة من مراكب الشمس ، بينما يقف كهنة آمون صلع الرءوس يحرقون البخور ويلقون الكفرة للتماسيح .. على الأقل هناك أزقة ملتوية ومساجد وسحرة ثعابين وحواة وفتيات ساحرات بالخمار يقلن : "سعيدة يا أفندى » . لكن مصر كانت محبطة بالنسبة لهما .. زحام .. سيارات .. مدينة حديثة مزدحمة ، فهى ليست كما تخيلا .. لكنها ليست باريس كذلك .. هو نوع من الرقص على السلم أحبطهما كثيرًا .. تختلف كثيرًا عما تصوراه وتختلف عن ألف ليلة وليلة .. بل إنها تختلف عن قصص أجاثا كريستى ..

قال لها فى اليوم الأول :

ـ « لو كنــت حــاكم مصــر لمنعت اســتخدام السيارات .. ولقصرت التنقل على الجمال .. »

قالت باسمة :

ـ « ولأمرت الرجال بارتداء الطربوش والنساء بوضع الخمار .. لكن العالم يتغير وعلينا أن نقبل هذا .. »

لكنه أسلوب التنميط الشهير .. سوف يندهشان لو نزلا من الطائرة فى أستراليا ولم يريا كانجارو يتواثب ، بينما يحاول أحد رجال القبائل اصطياده بالبوميرانج ..

بعد أيام بدءا يحبان مصر .. خاصة بعـد الرحلة النيلية بين الأقصر وأسوان حيث لم يتغير شىء تقريبًا منذ عهد الفراعنة.. وعندما عادا للقاهرة شعرا بأنهما يريدا البقاء هنا أطول ..

كان (موريس) طيـــارًا شابًا وهى كانت مدرســـة .. يدهشك مدى التباين الجســـدى بينهما ، فالرجل ضـــئيل الحجم رقيق كالفراشة بينما هى عضلية قوية البنيان والشخصية .. لكنهما متحابان فعلاً حتى هذه اللحظة ...

يمكن القول إن كل شىء بدأ عندما دخل الفندق ليأخذ مفتاح غرفته ، عندما استوقفه الموظف الأسمر المهذب ليقول له شيئًا بالإنجليزية .. التفت إلى زوجته لتفهم ما يقال.. من العسير فى مصر أن تقابل من يتكلم الفرنسية أو يفهمها بينما الجميع يتكلم الإنجليزية تقريبًا ..

قالت الزوجة وهى تمسك بمظروف صغير :

ـ « هذا الشىء لنا .. »

ـ « وما هـــو ؟ »

— « سوف نعرف . .. »

— « ومن أحضره لنا ؟ »

— « يقول إنه سيد أسمر مهذب .. معلومات غير كافية .. لا أحد يعرف أننا هنا .. »

هزت رأسها شاكرة الرجل وعادت تقرأ الاسم على المظروف .. فعلاً لا يوجد خطأ ما ..

فى الغرفة ألقت بحقيبتها على الفراش ، ومدت يدها تنزع المغلف .. كما توقعت كان يحتوى شريط كاسيت .. بحثت حولها فلم تجد جهاز كاسيت .. هل هى رسالة ؟..

قال لها وهو ينزع ثيابه :

— « لا عليك .. فى المساء سنطلب من موظف الاستقبال أن يجد لنا جهازًا .. »

وهو ما كان ..

اصطحبهما الموظف المهذب إلى غرفة جانبية صغيرة ووضع جوارهما جهاز كاسيت صغير الحجم ، وهز رأسه محييًا ثم انصرف ..

دست (مادلين) الشريط فى الجهاز وضغطت زر التشغيل و ....

* * *

هذه الضوضاء الكونية الغريبة ..

قادمة من سراديب المستحيل والما لا نهاية ..

إنها أصوات جوقة ملائكة لا أقل من هذا .. وهذا النشيد ؟... لابد أنه النشيد القومى للكون كله . لو توحد الكون فصار جمهورية لصار هذا نشيده القومى . فى هذا النشيد تسمع صوت الانفجار الأول .. وتسمع زئير التيرانوسوروس .. تسمع دندنة (ليست) على مفاتيح البيانو .. بونابرت يصدر الأوامر لجنرالاته .. كليوباترا تغنى .. ماتا هارى ترقص .. إيزيس تغنى لحورس الصغير .. تسمع الفرسان المسلمين يكبرون إذ توقفوا فى الصحراء وقت الغروب للصلاة ، وهم متجهون لفتح الأندلس .. تراتيل هندية تنشدها عذراء تستحم فى نهر الجانج .. السيوف تتضارب فى حرب طرواده و(هكتور) يصرخ فى (أخيل) ..

إنها الكون وقد تحول إلى أصوات ونغمات ..

إنها الحقيقة وقد صارت مسموعة ..

لم يتحمل أكثر فأغلق الجهاز ..

ارتمت بين ذراعيه وهى تنشج بلا توقف ..

الحقيقة أنه ارتمى بين ذراعيها بحكم صغر حجمه ..

كانا يبكيان ويرتجفان ...

همست من بين دموعها :

ــ « قريبة نوعًا من كارمينا بورانا .. »

قال وهو يشهق :

ــ « لكنها أروع بمراحل .. هذا الجمال غير أرضى .. (كارمينا بورانا) تعبر عنها لو كانت الدائرة الصفراء تعبر عن الشمس .. »

* * *

فى الصباح اتجه إلى شركة الطيران ليبتاع تذكرتين للولايات المتحدة ..

كان عليـــه أن يقـــوم بعدد من الإجراءات المعقدة ، وطلب التأشيرة .. لكنه أتم هذا بسرعة البرق لأنه كان يعرف موعد الرحلة ورقمها ويعرف أن عليه اللحاق بها ..

قالت له (مادلين) مفكرة :

ــ « هل تعرف لماذا نريد السفر للولايات المتحدة ؟ »

ــ « لا .. »

ــ « لأننا مجنونان يا صغيرى .. مجنونان .. حتى اللحظة كانت خطتنا هى قضاء شهر عسل شرقى فى مصر .. ماذا دهانا ؟ .. »

ــ « لا أعرف .. لكننا نريد ذلك بقوة .. »

ــ « هل تعرف أين نقيم ولا أين نذهب هناك ؟ »

ــ « سوف نجد شركة سياحة ترتب لنا كل شىء .. »

كان هذا هو الجنون بعينه .. ولكن من قال إن الجنون ليس جميلاً ؟.. ومتى يجن المرء إن لم يجن وهو شاب ؟...

ولكن كان الوقت الباقى ضيقًا ، لأن عليهما اختصار الجدول الزمنى بسرعة .. يجب شراء كل ما يريدان من تذكارات من القاهرة بسرعة البرق ..

لهذا هما يركضان بين أزقة خان الخليلى المزدحمة الضيقة .. لا يباليان بمن يكلمهما عارضًا الشراء من عنده أو خدماته ..

لابد من الانتهاء سريعًا ..

-5-

سور سالوتيس ..

إفيرتوتيس

ميهى نون كونتراريا ..

* * *

تحسس (محمود) صدره من جديد ..

هذا النتوء يدل على أن اللفافة فى موضعها ، وأن الشريط اللاصق موجود ومثبت. تبدو له طريقة ساذجة ، لكن (كامل) أكد له أن معظم حالات التهريب التى يتم ضبطها تتم بناء على مكالمة هاتفية من مجهول ، أو من مخبر مندس وسط المجموعة ..

ــ « هؤلاء القوم يرون مئات الوجوه يوميًا .. ليس لديهم الوقت للتنقيب حول كل واحد .. هم ينظرون لوجهك أولاً ليروا إن كنت مرتبكًا تعرق بلا توقف وترتجف .. باختصار توشك على تعليق لافتة تقول : أنا مهرب يا شباب .. الطريقة الثانية هى أن يكونوا بانتظارك فعلاً. عندئذ ينظر لك فى حزم ثم يطلب منك أن تنتحى جانبًا للتفتيش .. »

ــ « وعندها ؟ »

ــ « وعندها .. هذا هو حظك السيئ يا عزيزى ... »

كانت المقامرة برغم كل شىء جديرة بالتجربة..

يجب أن اضيف هنا من عندى أن إجراءات ركوب الطائرات لم تكن معقدة فى ذلك العصر .. لم يكن هناك جهاز كشف عن المعادن ، ولا نزع أحذية.. هكذا يمكن لشىء كهذا أن يمر بسهولة ..

(محمود السمدونى) .. الشاب الذى جرب كل شىء وفشل فى كل شىء .

عندما كان فى سن الدراسة جرب أن يكون طالبًا وتوصل إلى أنــه متخلــف عقليًا أو غبــى .. لا يســتطيع أبــدًا استيعاب ما يستوعبه الطلبة ..

فى هوجة جمع العنب فى فرنسا ذهب مع الشباب الآخرين ، وجرب حظه هناك .. نام فى الشوارع كثيرًا جدًا وتسول من أجل كأس نبيذ ، وعرف فتيات يمكن أن تشم رائحتهن من على بعد أميال ، وطارده رجال الشرطة الذين لا يستطيع التفاهم معهم بحرف واحد .. وفى النهاية عاد من فرنسا دون أن يكسب شيئًا سوى قميص مشجر يفتحه حتى أسفل بطنه ، وعلبة سجائر جولواز ، وشعر رأس طويل .. وقد تعلم طريقة غريبة للتدخين تبهر الفتيات هى أنه عندما ينتهى من لفافة التبغ يقلبها بلسانه

لتنطفئ داخل فمه بلعابه .. هذه هى الخبرة الثقافية التى اكتسبها من باريس ، والتى جاء ينقلها لأبناء وطنه ليجتازوا الفجوة الحضارية بين الشعبين .. كما أنه صار يفرق جيدًا بين أنواع النبيذ ، وكان يحزن جدًّا عندما يسمع أبنـــاء وطنه لا يفرقون بين النبيذ والويسكى والبراندى .. يعتبرون هذا كله (هباب) ... تبًّا للجهل !

سافر إلى اليونان وعمل على السفن لبعض الوقت ، لكنها كانت تجربة فاشلة ، وفى النهاية سرق مالاً وتلقى علقة فى إحدى حانات البحارة .. وإن خرج من التجربة بأن صار يشرب الأوزو ..

إنه اليوم فى سن الخامسة والعشرين .. عاد لمصر وتزوج .. فقط لينسى ذلك بعد أسبوع .. ولمدة ثلاثة أشهر لم تره زوجته قط ولم تأخذ مليمًا منه ..

ثم جاءه أخو زوجته (ماهر) ليقول له :

ـ « اسمع .. أنت بارع فى العلاقات الاجتماعية و(مدردح) .. أنا بحاجة لمواهبك التجارية .. أعرف أنك لست سيئًا كما تقنعنى (سناء) .. زوج أختى هو مسئوليتى مثل أختى بالضبط .. »

وهكذا صار مسئولاً عن التعاقد مع تجار الأحذية فى عدة مدن .. زوج أخته كان يملك ورشة أحذية ... وقد بدأ العمل ينتعش وعرف طعم المال فى جيوبه ..

حتى جاء ذلك اليوم الذى أعطاه فيه أحد التجار ثلاثمائة جنيه ـ وهو مبلغ فادح فى ذلك الزمن ـ كعربون يوصله لأخى زوجته ..

كان جادًّا ومصممًا على أن يكون أمينًا ، لكن شخصية مثل شخصيته لا تستطيع أن تكون أى شىء إلا ربع ساعة .. وهكذا سرعان ما وجد نفسه ثملاً فى بار رخيص وهو يبعثر المال على النساء ، ولم يسمع عنه أحد شيئًا لمدة أسبوع ..

كان يمسح فمه بظهر يده فى كل مرة ويقول :

ـ « أنا طيب القلب .. أنا ابن حلال .. ولكن حظى عاثر .. »

لكن الناس كانوا قد سئموه فعلاً ، فلم يبال أحد بسؤاله عن دور سوء الحظ فى سرقة أموال التجارة وهجر زوجته ...

لم يكن يكف عن الرثاء للنفس ..لقد تغيرت النفوس والناس لم يعودوا أنقياء كما كانوا فيما مضى .. يبدو أنه كان هناك فى الماضى أناس طيبو القلب يمنحونك المال بلا عمل تنجزه ، ولا يبالون إن سرقت منهم عدة مئات من الجنيهات .. بل كانوا يتمنون لك الخير ويباركونك ..

لقد انقرض هــؤلاء الناس للأسف .. لم يعد هناك أشخاص محترمون أولاد ناس ..

كان يقضى أيامه بين البارات الرخيصة فى وسط البلد ، وكان ينجز عشرات المهمات الصغيرة القــذرة ، وأحيانًا كان يقامر بمبالغ صغيرة ... لكنه كان يشعر أن فرصته لم تأت بعد ..

جاءه (كامل) فى الحانة الصغيرة التى اعتاد أن يجلس فيها ودعاه إلى كأس ..

(كامل) كان فى الخمسين ، أشيب الشعر لكن له وجهًا وسيمًا حليقًا تبدو عليه ملامح الثراء والنعمة ..ماذا يعمل ؟.. لم يسأل ..

قال وهو يصب له كأسًا أخرى :

ــ « أنت ذكى وبارع و(مدردح) .. من الغريب ألا تظفر برزق يومك إلا بصعوبة .. »

قال (محمود) وهو يفرغ السائل الكريه فى بطنه :

ــ « النفوس تغيرت .. الناس صارت حاقدة تكره بعضها .. »

قال له (كامل) بعد ليلة طالت :

ــ « المهمة بسيطة .. لفافة صغيرة تلصقها بجسدك وتوصلها إلى بلجيكا .. أنت كنت فى فرنسا وليس البلد غريبًا عليك .. من يعرف فرنسا يعرف كيف يتصرف فى بلجيكا"

سأله فى حذر وهو يفتح عينيه بصعوبة :

ــ « مخدرات ؟... لن أفعل .. »

قال (كامل) ضاحكًا بطريقة من يسمَع مجنونًا يتكلم :

ــ « هــل سمعت عن مجنــون يهرب المخدرات من مصر لأوروبا ؟.. ثم إن هذه أشياء خطيرة لا تسند لغير المحترفين مثلك .. فلوس ناس .. لا . لا تخف ..ليست مخدرات .. »

كان قد رأى كثيرًا من أفلام الجاسوسية ، لذا عاد يسأل :

ــ « وثائق .. هك .. خطط عسكرية ؟ »

ــ « لا أحد يهرب هذه الأشياء فى لفافة .. هناك ما يدعى بالميكروفيلم يا حبيبى .. ومن جديد هذه أمور لا تسند للهواة ، وأنت ــ عدم المؤاخذة ــ هاوٍ ويمكن أن تفسد أى مشروع جدى »

– « إذن ماذا يوجد فى هذه الـ ... هـك .. الـ .. هـك ... اللفافة ؟ »

– « هذه هى المشكلة .. لن تعرف .. لكنى أؤكد لك أنها ليست مخدرات ولا وثائق .. هذا يجعلك أكثر اطمئنانًا .. »

قدم له العرض ووعده بالمبلغ .. الأهم أن (محمود) شعر بالحنين لأيام المغامرة .. كان أفاقًا .. لا يصلح إلا أن يكون أفاقًا مخادعًا بلا هدف ولا عنوان ..

هكذا قبل .. وسرعان ما كان يستخرج لنفسه جواز سفر ، ويستكمل الإجراءات .. لم يفكر لحظة فى زوجته هنا فهو لم يرها منذ عام .. أخوها بالطبع يبحث عنه لكنه هذه المرة لن يجده أبدًا ..

قبل موعد السفر بأسبوع جاءه (كامل) ملهوفًا لاهثًا وقال له :

– « لقد تغيرت العملية .. لن تسافر إلى بلجيكا .. »

– « إذن ؟ »

– « سوف تسافر إلى الولايات المتحدة .. سوف أرتب لك كل شىء .. »

شعر بذعر .. هـو يعرف أوروبا إلى حـد ما ، لكن الولايات المتحدة بدت له شاسعة جدًا .. كلما تذكرها تخيل طريقًا سريعًا واسعًا تجرى فيه سيارات فارهة ، بينما يحيط به رعاة بقر شرسون ينوون ضربه حتى الموت ...

– « وإجراءات التسليم .. و ... »

– « سوف أخبرك .. الرجل سوف يقابلك فى مطار (جى إف كى) ... وسوف يصحبك إلى المسكن الذى استأجره من أجلك .. »

بدا له كل هذا غريبًا ، وخصوصًا أن (كامل) لا يستطيع تدبير عميل فى قارة أخرى بهذه السرعة .. فقط المافيا تقدر على ذلك . لكن المغامرة هى المغامرة وهو لا يصلح لمهنة أخرى غير مهنة المغامر الأفاق كما قلنا ..على الأرجح لن يعود من الولايات .. سوف يظل هناك للأبد ، فهو قد اعتاد الفرار من الشرطة الأجنبية على كل حال .. سوف يصير تاجر مخدرات أو قوادًا .. هذه هى الأعمال التى تناسب مواهبه ، فهو لن يجرب أن يصير جراح أعصاب طبعًا ..

هكذا وجد نفسـه يدخـل الحمـام فى ذلك المقهى ، فينزع ثيابه ويلصق ذلك الشريط ليثبت به اللفـافة إلى أسـفل إبطه ..

إنها فى حجم الكتاب الصغير السميك على كل حال .. قاموس الجيب . خطـر له أن يفتحهـا ثم وجـد أن هذا يكلفه مبلغًا لا بأس به لأنه لن يتقـاضى ماله لو أتم التسليم . هل تسقط ؟.. لا .. إنها مثبتة بإحكام .. دعك من أن الوضع الطبيعى للذراع يجعله يضغط عليها طيلة الوقت ..

وهكذا خرج مـن الحمام .. أفرغ باقى كوب الشاى فى فمه ، ثم ألقى بورقة مالية على المنضدة ، وحمل الحقيبة الثقيلة وهب ليستقل سيارة أجرة إلى المطار ..

لقد دنا موعد الطائرة جدًا ...

-6-

إت إفكتوس

إت دفكتوس

سمبر إن أنجاريا

* * *

فى لقائهما الأخير فى ذلك الفندق بالقاهرة ، قال (كلاوس) وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « لقد تغير كل شىء .. »

فى ذلك الوقت لم تكن (عصبة الجيش الأحمر) قد قامت بعمليات خطف طائرات .. كان نشاطها فى كل مكان وكل زقاق فى ألمانيا الغربية ، حتى أن هـذه الحقبـة أطلق عليها اسم (الخريف الألمانى) .. هذا النشاط ينحصر غالبًا فى تفجيرات عنيفة جـدًا أو اغتيالات للرمـوز الحكومية المهمة أو قيادات الشرطة .. لكن لا طائرات ..

إن أعضاء المنظمـة لم يطلقوا على أنفسهم قط الاسم الذى اختارته لهم وسائل الإعلام (بادر ماينوف Baader-Meinhof)

بل كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (عصبة الجيش الأحمر) ، تيمنًا بالجيش الأحمر اليابانى .. وهو شبيه بما حدث عندنا فى مصر ، فتنظيم (التكفير والهجرة) لم يطلق على نفسه هذا الاسم قط ..

إن (بادر ماينوف) تنظيم ألمانى يسارى شيوعى ولد عام 1970 بعد ثورة الشباب التى هزت العالم إياها ، وقد أنشأه أربعة أعضاء منهم (بادر) والفتاة (ماينوف) ..

تنظيم عنيف جدًا .. شديد الشراسة ، وقد افترضوا منذ البداية أن النازيين ما زالوا أحيـــاء وهم من يحركون ألمانيا اليوم ، وقرروا بدء حركة مقاومة مسلحة ضد الحكومة الألمانية ..

كانت لهؤلاء الإرهابيين صفة دولية ، وكانوا يتواجدون فى كل مكان تقريبًا ، ويقومون بعمليات لبعض .. إن القضية الفلسطينية قضية شريفة طبعًا ، وقد استقطبت منظمات مثل الجيش الأحمر اليابانى وIRA (الجيش الجمهورى الإيرلندى) واستقطبت المناضل (كارلوس) وأحيانًا أعضاء (بادر ماينوف) مثلاً .. غريب .. أليس كذلك ؟.. تذكر أن أول عملية استشهادية كنا نسمع عنها فى ذلك العصر قام بها اليابانيون فى مطار اللد الإسرائيلى عندما فجروا أنفسهم فى ركاب شركة العال .. كان اليساريون فى العالم كله يتحركون كمنظمة واحدة ، وعدوهم كان أمريكا وإسرائيل ، وهدفهم كان فيتنام وفلسطين ..

لكننا الآن بعيدون عن القضية الفلسطينية .. نحن نتحدث عن الإرهاب بمعناه القبيح العارى .. و(بادر ماينوف) فعلاً من أسوأ المنظمات الإرهابية التى يصعب فهم مبرراتها على الإطلاق .. لابد أن تكون مثقفًا أكثر من اللازم ، وقرأت (هربرت ماركوز) إلى درجة الخبال حتى تفهم منطقهم ..

كانت فكرة (كلاوس) هى أنه لابد من نقل الإرهاب إلى الطائرات .. لابد من خطف طائرة وتفجيرها ، وكان اختيارهم لشركة ألمانية ..

تم التخطيط على أساس أن يركب الطائرة أربعة من الجماعة .. سيكونون مسلحين بالمسدسات الصغيرة .. للمرة الألف أؤكد أن هذا عصر خطف الطائرات حيث كان بوسعك ركوب الطائرة ومعك صاروخ عابر للقارات ذو رأس نووى ..

كان (مولر) موظفًا ألمانيًا مهذبًا .. لم يكن أحد يتصور أنه من كوادر الجماعة المهمين ..

التقوا جميعًا فى مصر ، لأن الخطة تقضى بأن يركبوا طائرة ألمانية تنطلق من مطار القاهرة إلى (بون) ..

قال (كلاوس) :

ـ « سـوف نطلب الإفراج عن سجنائنا الذين قبض عليهم البوليس الألمانى عميل الرأسمالية وصنيعة الولايات المتحدة .. لو لم يلب هؤلاء الخنازير مطالبنا سنفجر رأس راكب كل نصف ساعة .. لو نفذوا مطالبنا سنطلب وقـودًا يكفى لنقلنا إلى الأرجنتين ، وهناك سوف نخلى الطائرة ونفجرها فى المطار .. إن عملاً كهذا سيهز وسائل الإعلام ، ولسوف يعرف الكل أننا جادون .. »

لم يكن (مولر) يعرف الباقين معه ، لكنه سيعرفهم فى ساعة الصفر .. هذا مؤكد .. هذه من مقتضيات سرية العمل فى المنظمة ..

هكذا أمضى أيامه فى القاهرة يتظاهر بأنه مجرد سائح ألمانى .. زار الآثار وسهر فى ليل القاهرة وصادق فتاتين ألمانيتين قابلهما فى الهرم ..

(كلاوس) هو من جلب له المسدسات والقنبلة اليدوية .. لن يحتاج لأكثر من هذا مؤقتًا .. الآخرون أيضًا ستكون معهم أسلحة ..

اقترب موعد العملية كثيرًا .. كان يقضى الساعات مع (كلاوس) فى غرفته بالفندق يرسمان كل شىء ويتفقان على التفاصيل ..

كان (كلاوس) حذرًا ، وبرغم أنه كان واثقًا من أحدًا لا يشك فيهما ولا فى أى شىء ، وأن السلطات المصرية لا تعرف شيئًا

عنهمـا ، فإنه كان يتعمـد فى كل لقـاء فتـح جهـاز الراديو أو الكاسيت عاليًا جدًا .. لو كان هناك من يتنصت ففرصته معدومة فى فهم شىء .. بالإضافة لهذا كان يتعمد تشغيل دوش الحمام أثناء المناقشات ، وبهذا كان يضمن المزيد من السرية ..

(كلاوس) كان يهوى الموسيقا الكلاسية كأى ألمانى فى الواقع ، وكان ذا ولع خاص ببيتهوفن .. لا لم يحب فاجنر قط لأنه كان يعتبره جزءًا من الثقافة النازية ..

فى ذلك اليوم دس (كلاوس) شريط كاسيت فى الجهاز .. هنا تعالى غناء جوقة تنشد باللاتينية .. تعلو حتى تبلغ الفضاء ثم تهبط لقاع المحيط ... حماسية مجنونة لكنك لا تفهم حرفًا ..

قال (مولر) فى انبهار :

ـ « جميلة .. هل هذا (كارل أورف) ؟ »

فى غباء نظر كلاوس إلى الجهاز وقال :

ـ « لا أذكر بتاتًا إن عندى هذا الشريط .. وليست لدى أية تسجيلات لكارل أورف .. عميل النازية الخائن هذا .. »

ـ « لكنها قريبة جدًا من (كارمينا بورانا) .. »

ـ « بل هى أجمل بكثير .. لكن أقول لك بصراحة : لا أعرف من أين جاءت هذه ولا من وضعها بين مجموعتى .. »

ولساعة ظلا صامتين يصغيان لهـذه الألحان العبقرية التى تنقلك لعالم غير محدد وملغز ..

فى الصباح اتصل به (كلاوس) فى غرفته وقال كلمة واحدة :

ـ « سوف تسافر إلى الولايات المتحدة !... »

ـ « هل جننت ؟.. كل ترتيباتنا تقضى بأن ... »

ـ « صه ! » قالها (كلاوس) فى عصبية - « لا تنس نفسك وتثرثر عندما تنفعل .. لا تتصور أنك الوحيد الذى يتكلم الألمانية على ظهر الأرض . .. »

ثم أردف فى هدوء :

ـ « سوف يتم كل شىء كما اتفقنا لكن على ظهر الطائرة المتجهة إلى مطار (جى أف كيه) ... الرحلة تنطلق بعد غد .. رقمها هو 345 »

ـ « لكن أريد فهم الحكمة من ...؟ »

ـ « كل شىء سيتم كما اتفقنا .. والألمان سيكونون هناك للتفاوض معكم .. لم يتغير شىء سوى الوجهة النهائية .. »

ـ « لكن لماذا ؟ »

ـ « هذه حسابات لا يجب أن تشغل عقلك بها .. أنت تتلقى الأوامر وتنفذ فقط .. »

وضع السماعة شاعرًا بالغيظ ..

كان أوان التراجع قد فات ، لكنه شعر بأن تغيير وجهة العملية قرار انفعالى وليد اللحظة ولم يدرس جيدًا .. لم يدرس على الإطلاق ..

لماذا ؟.. ولماذا تم تغيير كل شىء بعد تلك الليلة ؟

ماذا حدث فيها ؟

لم يحدث أى شىء غريب سوى سماع ذلك الشريط ..

هل تلقى (كلاوس) تعليمات معينة بعد العودة لمقره ؟.. هل يرون ان الولايات المتحدة سوف تضفى صبغة إعلامية أكثر صخبًا على العملية ، بينما يمكن أن يتكتم البوليس الألمانى الكثير من الأمور كما فعل فى عملية أولمبياد ميونيخ عام 1972 ؟

هل السبب هو أن الولايات المتحدة أقرب للأرجنتين من ألمانيا الغربية ؟

فعــلاً لا يعرف السبب .. كل شيء مجنون وغريب .. وهو لا يستطيع أن يعتذر ويرحل .. لا أحد يفارق (بادر ماينوف) حيًا ... هؤلاء لا يمزحون ..

الحل الوحيد هو أن ينفذ .. والخطر هو الخطر على كل حال .. لا فارق إن قتلك رصاص أمريكى أم ألمانى .. على الأقــل أنت تعرف طريقة البوليس الألمانى فى التفاوض مع المسلحين : يطلق وابلاً من الرصاص يقتل الجميع كما حدث فى عملية (ميونيخ) . ربما كان البوليس الأمريكى أقل نازية ..

أشعل لفافة تبغ وقرر أن يذهب للمكتبات الكبرى فى وسط القاهرة ليبحث عن كتب ألمانية .. كتب ألمانية تتكلم عن الولايات المتحدة ..

* * *

-7-

هاك إن هوراه

سينى موراه ..

كوردى بالسام تانجيتى ..

* * *

لمسة على ذراعى ففتحت عينى ..

كانت المضيفة الشمطاء تنظر لى بكراهية وهى تمسك بشوكة الشيطان الثلاثية تنوى أن تغرسها فى مؤخرتى قبل أن تلقى بى فى السعير. ثم أفقت أكثر ففهمت أنها تخبرنى بصدد الوجبة التى أريد أكلها ..

اخترت وجبة من السمك .. فنظرت لى فى غل كأنها تتمنى أن أختنق بما آكله ، ثم ألقت بالصينية على حجرى كى أدبر نفسى وانصرفت لمقعد آخر ..

تثاءبت ونظرت خارج نافذة الطائرة فرأيت أن الظلام يغمر كل شىء ..

كان الأخ الودود الإسكتلندى جوارى يلتهم طعامه كمن لم ير زادًا فى حياته قط ، وقد وضع أمامه كأسًا يجرع ما فيها فى نهم واحمرت عيناه ووجهه وتلاحقت أنفاسه ..

قال دون أن ينظر لى :

ـ « تنام بعمق .. هذه مزية لا يملكها كثيرون .. »

لو يعرف هذا المجنون !...

قلت باسمًا :

ـ « العقاقير المنومة تعمل معى جيدًا .. هذه مزية أخرى .. هناك بؤساء لا ينامون ولا تعمل معهم العقاقير المنومة .. هذا هو الطريق الملكى للانهيار العصبى .. »

ثم رحت أجوب ببصرى بين الجالسين من حولنا ..

كلهم يأكل .. لحظات من المرح السريع سرعان ما تزول .. مزية الأكل كذلك هو أنك تستطيع تفقد الوجوه فى وقاحة بينما أصحابها لا يدركون ذلك ..

هذه السيدة الفاتنة التى لم أر أجمل منها ولا أروع .. يبدو وجهها مألوفًا لى .. هى كذلك تنظر لى كأنها تعرفنى .. لو كنت رومانسيًا لقلت إننا أحببنا بعضنا فى زمن آخر وعالم آخر ..

ولو كنت واقعيًا لقلت إننى أشبه زوجها السابق الفارّ من حكم بالنفقة ..

وهذا الوغد ؟... هذا أفاق لا شك فى ذلك .. هذا الفتى طويل شعر الرأس ذو العينين الواسعتين الزائغتين الباحثتين عن أحمق آخر يخدعه . يبدو أنه أنهى خداع كل المصريين وينوى الذهاب لخداع الأمريكان ..

هنا زوجان لطيفان .. هذه ملامح فرنسية بالتأكيد .. عينا الرجل صغيرتان جدًا حتى لتتساءل كيف يرى بهما ... عيون الفرنسيين ... وإن كانت المرأة أضخم من زوجها بمراحل لكنهما متفاهمان .. هذا واضح ...

هذا عن الجانب الأيسر أما عن الجانب الأيمن فلا أراه طبعًا لأن المقعد أمامى ..

نظرت لساعتى فوجدت أننى نمت ساعتين تقريبًا .. جميل جدًا .. سآكل ثم أطمع فى الظفر بثلاث ساعات أخرى .. معنى هذا أن تبقى خمس ساعات من العذاب ...

ما زال العقل البشرى متأخرًا .. سأظل أؤمن بهذا إلى أن يخترعوا الانتقال الآنى بحيث أدخل الكابينة فى مصر فأصير فى الولايات المتحدة خلال جزء من الثانية .. كم من عمرى ضاع

على طريق القاهرة الصحراوى أو الزراعى ؟.. وكم ضاع على قضبان السكك الحديدية ؟.. وكم ضاع على ظهر السفن والطائرات ؟. من المدهش أن (ابن بطوطة) و(ماركو بولو) وسواهما لم يجنّوا مللاً .. تصور رحلة على ظهر الجمال إلى الصين !..

نظرت لجارى الذى يأكل فى آخر زاده فلاحظت أنه قد طوى صفحة الكتاب ليعود له بعد التهام الطعام . اسم المؤلف هو (مكالستر) ... هذا غريب ..

الآن تذكرت أنه قال إن اسمه (مكالستر) .. (جيسون مكالستر) ..

سألته وقد تنحنحت أولاً :

ـ « معذرة لفضولى .. لكنك قلت إن اسمك .. »

وأشرت إلى غلاف الكتاب ، فهز رأسه على الفور وضحك :

ـ « نعم .. نعم .. هذا كتابى .. »

غريب هذا .. قد يبلغ بك الإعجاب بالنفس مبلغًا ، لكنك لن تجلس فى الطائرة تطالع بهذا النهم كتابًا أنت مؤلفه ، ما لم يكن قد خرج من المطبعة حالاً وهو يفتش عن الأخطاء المطبعية ..

ـ « أنت مؤلف إذن .. »

ـ « أدرس الحضارات القديمة .. مهتم بشكل خاص بالأديرة القديمة فى قلب أوروبا فى القرون الوسطى .. »

اهتمام غريب كما ترى .. لكن الله قد شاء أن يسخر إنسانًا لكل نقطة من نقاط المعرفة .. هناك من يهتمون جدًا بسبل زراعة الأرز ، وهناك من يهتمون بالأغانى الفينيقية ، ومن يهتمون بطرق النسج عند الرومان ..أرتجف وأندهش كلما تصورت أن هناك من يدرسون إدارة الأعمال وتكوين الشركات. هكذا تتكون المعرفة .. والأجمل أن كل واحد من هؤلاء يعتقد أنه يدرس موضوعًا مثيرًا ممتعًا . لا أتصور حتى هذه اللحظة أن هناك من لا يهتم بأمراض الدم ويجدها مملة ..

قال لى وهو يلتهم السلطة بالشوكة :

ـ « هل تعرف الجوليارد ؟.. إننى مهتم بهم بشكل خاص .. »

نعم .. كما قلت لابد من شخص ما يدرس الجوليارد .. هذا مهم .. لكن من هم ؟

نظرت له فى غباء والخص يخرج من جانبى فمى ، فلابد أننى بدوت له كبقرة بلهاء .. قال :

ــ « هم مجموعـــة من الطلبة الدينيين كتبوا أشعارًا ساخرة ثورية باللاتينية .. كان هذا فى القرن الثالث عشر تقريبًا .. كان ما حركهم هــو رفضهم للكنيسة الكاثوليكية بعد فشل الحملات الصليبية فى تحقيق شىء .. هل سمعت مقطوعة (كارمينا بورانا) ؟ »

ثم رفع قبضـــته وراح يدندن ملاحقًا الضربات الموسيقية المميزة للمقطوعة .. أعرفها أعرفها .. إنها رائعة ..

أردف وهو يملأ فمه بالسلطة من جديد :

ــ « معظم الأشعار التى تنشد فى هذه المقطوعة هى من نظم الجوليارد .. ودعنى أؤكد لك أن ما نسمعه منهــا هــو الجزء المهذب الرقيـــق ... هنـــاك كوارث فى باقى المقاطع . لابد أن (كارل أورف) أصيب بالذهول عندما فهم ما تقوله هذه الأشعار .. لقد كان هؤلاء القوم على وشك الاتصال مباشرة بالشياطين .. اسمع .... »

ثم بدأ يدندن بلحن قريب جدًا من (كارمينا بورانا) هذه وإن كان أجمل .. وراح يهز قبضته ملاحقًا اللحن .. الحق أنه بدأ يتحمس لدرجة أن صوته ارتفع جدًا وبدأت أشك فى أنه مخبول ..

ــ « ماذا تدندن ؟ »

ــ « هذا هو الجزء الذى لم يذعه (أورف) من الأشعار .. لقد قام بتلحينه ثم قام بتدمير ما حصل عليه .. لكن دعنى أكمل اللحن .. »

وراح يواصل الغناء ..

بالطبع هذا الكلام باللاتينية وبذىء جدًا .. هذان مصطلحان يعادلان بعضهما كأنك أضفت حمض الهيدروكلوريك إلى الصودا الكاوية فنتج ملح الطعام المسالم .. لو كان يردد أقذر كلمات فى اللغة اللاتينية فلن يفهم أحد حرفًا .. فليأخذ راحته إذن ..

لكن الأمور لم تكن بهذه البساطة ..

فوجئت بالسيدة المصرية الحســناء رائعة الجمال تقــف عند رأسنا ..

كانت تنظر لنا بانبهار وزاوية فمها ترتجف .. ثم سألت (مكالستر) بالإنجليزية :

ــ « معذرة يا سيدى .. أنا أعرف هذا اللحن .. من أين جئت به ؟ »

نظر لها فى حيرة وفتح فمه ليتكلم .. هنا رأيتها تنظر لى فى حيرة وتغمغم بالعربية :

ــ « وأعرفك أنت كذلك لكن لا أذكر من أين !... ما هذا اليوم الأسود ؟ »

هنا فوجئت بالزوجة الفرنسية الضخمة إياها واقفة جوارنا ، وهى تسأل بإنجليزية رديئة جدًا :

ــ « كيف عرفت هذه الأغنية ؟ »

ومن المقعـــد الذى أمامى برز رأس أشقر ذو ملامح صلبة قاسية .. كان ينظر لنا فى ثبات ، ثم سأل بإنجليزية يبدو واضحًا أنها ذات خلفية ألمانية :

ــ « أنا سمعت هذا اللحن .. هل هو من تأليفك ؟ »

نظرت فى دهشـــة لــ (جيسون) الذى بدا كأنه فتح بوابة الجحيم .. كان منذ لحظة يدندن لنفسه بصوت مسموع وفجأة صار محاطًا بجيش من الفضوليين ..

ومن مكان ما هتفت المضيفة الشمطاء :

ــ « هلا عدتم لمقاعدكم من فضلكم ؟.. هناك منخفض جوى قادم .. هل توجد مشكلة ما ؟ »

تفرق الواقفون دون تعليق وعادوا لمقاعدهم .. وعدت أنظر لــ (جيسون) متسائلاً :

ــ « هل هذا اللحن شهير لهذه الدرجة ؟ »

قال فى حيرة كأنه يكلم نفسه :

ــ « على قدر علمى ليس هناك إنسان على ظهر الأرض يعرف هذا اللحن فى اللحظة الحالية سواى ..!.. إن الأمر غريب .. غريب فعلاً .. »

وهنا بدأت الطائرة تهتز ..

وأصدرت المضيفة تعليماتها بربط الأحزمة .....

إنه المنخفض الجوى ... وهو يناسب حالة الاضطراب التى شعر بها جارى ..

* * *

الجزء الثانى

الكارثة قادمة

-1-

كود بير سورتيم

ستيرنيت فورتيم

ميكوم أومنيس بلانجيتيه

* * *

لم تكن المهمة سهلة لأن (أورف) دمر كل أوراقه تقريبًا فلم يترك إلا القليل ..

(جيسون مكالستر) حاول الاتصال به مرارًا ، لكنه فشل فى لقائه .. هكذا قرر أن يزور (بندكتبويرن) بنفسه للتحرى عن تلك القصة ..

سافر إلى بافاريا حيث تلك القرية الصغيرة التى عاشت عصورًا طويلة صاخبة . ولم يكن عدد سكانها فى ذلك الزمن أكثر من 3000 نسمة .. يمكنك الوصول لها بالقطار من ميونيخ خلال ساعة ..

القرية كلها ديكور أقيم حول أهم معالمها : الدير العتيق الذى تحمل كل ذرة منه تاريخًا ثريًا صاخبًا .. الدير الذى بنى عام 739 مكرسًا للقديس (بندكت) ..

لقد هدم الدير مرة على يد المجريين ، ثم أعيد بناؤه عام 1031 وتعرض لعدة حرائق عنيفة فى تاريخه. لكنه ظل مركزًا دينيًا مهمًا وضم مكتبة كبرى ، وقد أعدم السويديون رئيس الدير ذات مرة لأنه رفض أن يعترف بمواضع الأشياء الثمينة الموجودة فى الدير ..

وفى العـــام 1803 تم فرض العلمانيـــة على بافاريا وتسريح الرهبان به ، فعمل معظمهم أساتذة جامعة . هكذا تسربت المكتبة الأسطورية الخاصـــة بالدير إلى العـــالم الخارجى .. هناك 250 كتابًا لم يسمع بها العالم ظهرت فجأة ، وهى مجرد لمحة من أربعين ألف كتاب ..

كتاب من هذه الكتب هو الذى وقع فى يد (كارل أورف) ووجد به تلك الأشعار اللاتينية العجيبة. ولسوف يصاب بالذهول عندما يجد كذلك طريقة فريدة لتدوين الموسيقا من دون نوتة موسيقية ، واسمها neume ... هذا هو ما سوف يساعده على استنتاج كيف تغنى هذه الأبيات .. هذه أشعار كتبها دارسون متمردون من القرن الثانى والثالث عشر .. الحق أن هذه الأبيات صنعت شهرته ، لكنه دمر الكثير مما وجده لسبب ليس واضحًا ... الحقيقة أنه وجد 254 أغنية فلم يستعمل سوى القليل منها ...

لم يكن من الممكن أن يذهب (جيسون) إلى القرية ويسأل .. لا أحد يتصرف بهذه السذاجة ..

لذا أقام فى النزل .. وخالط السياح الكثيرين المتواجدين هنالك . شرب فى الحانة وتظاهر بالثمل .. ثرثر مع فتاة الغرف البدينة البلهاء ..

لقـــد ترك فى كل صوب من يعرف سبب مجيئه .. إنه الثرى الأسكتلندى الـــذى يمكن أن يدفع أى مبلغ مقابل معلومات عن الجوليارد ..

وهكذا جلس فى غرفته ينتظر ...

جاءته المساعدة لكن بطريقـــة غير مباشرة .. لم يأته ذلك الرجل الغامض الذى يدخن كثيرًا ، ليطلب منـــه أن يقابله فى الساحة الخلفية ومعه المال .. لقد جاءه متسكع ثمل يقترح عليه أن يقصد بائع الكتب العجوز (هيرمان) ويعرض عليه أن يرى بعض تلك الكتب ..

– « قل له .. هيك .. إنك من طرفى !! »

هكذا تم الأمر بشكل مثير للسخرية ..

كان ذلك الشارع الضيق المرصوف بالأحجار والمنحدر بشكل لا يصدق ، ينعس بين أشجار البلوط .. هناك عجوز جالس على مقعد يطعم الحمام وهناك امرأة مسنة تكنس الأرض ..

متجر الكتب عليه بحـــروف قوطية اسم (هيرمان) ..

صاحب المتجر عجوز بافارى متشكك من الطراز الذى يصلح لاستخدامه فى إعلانات البيـرة .. شـارب كث وكرش متضخم ومونوكل على عين واحدة ..

قال له :

ـ « لن تجـد شـيئًا ذا بال .. مئـات الدارسين جاءوا هنا وابتاعوا كل شىء كُتب على ورق .. »

ـ « هل تسمح أن أبحث بنفسى ؟ »

نظر العجوز إلى المخزن خلفه والذى امتلأ بالكتب القديمة ، وهز يده .. هناك الكثير من الغبار والعناكب ... لو شئت أن تغطس هناك فتلك مشكلتك ..

بالطبع لم تكن هذه مخطوطات أصلية .. المخطوطات الأصلية فقدت للأبد أو هى فى المتحف ، لكن هذه هى الكتب التى قام بتأليفها من وجدوا هذه المخطوطات .. أى أنها (شروح) لكنها كذلك تضم عددًا لا بأس به من الصور المهمة ..

(كارل أورف) وجد مخطوطات أصلية لكنه دمرها .. كان سعيد الحظ ، لكنـه قرر أن يغلق صنبور الحظ الحسن بعد ما شرب جرعته من الماء ..

هكذا راح (جيسون) يمضى الساعة تلو الساعة فى المكتبة العملاقة يتفحص الكتب ويشرب القهوة .. كانت إجادته للألمانية واللاتينية كاملة لهذا لم يكن يلاقى مشاكل من أى نوع ..

لكنه بالفعل كان عاجزًا عن معرفة ما هو مهم وما ليس كذلك ، لذا أنفق الكثير فى شراء كتب لا يعرف إن كانت ذات نفع أم لا ..

لقد تفحص كل شىء فى المكتبة ، وأمضى فيها أسبوعًا .. هكذا قرر أنه على الأرجح يضيع وقته ..

ثم وجد الصندوق فى اليوم السابع ..

الصندوق القديم الأثرى القابع فى الركن تحت عشرات الكتب .. بالطبع صارت لـ (جيسون) صفة صاحب المكان بعد هذه الفترة وكل هذا الإنفاق ، لدرجة أن صاحب المكتبة كان يذهب للحانة ويتركه ينتقى ما يشاء .. لهذا اتجه للصندوق وفتحه ، عالمًا أنه أحمق إذا حسب أنه سيجد ما لم يجده ألف باحث من قبل ، كلهم فتح هذا الصندوق بالتأكيد ..

بالفعل كانت هناك كتب حديثة نوعًا لا قيمة لها .. قصص غرامية سخيفة وروايات مغامرات ..

لكن .. هذا الرسم على الغطاء بطريقة الحفر على الخشب مع النقوش .. هذا الرسم مألوف تمامًا .. إنها عجلة القدر.. تحيط بها العبارات الأربع المألوفة :

لسوف أسُود..

أنا أسُود ..

لقد سُدتُ ..

أنا الذى لا مملكة لى .

Regnabo, Regno, Regnavi, Sum sine regno

فى اللحن تدور عجلة القدر فتحيل سعادة الناس تعاسة ، وتحيل نشوتهم مرارة والعكس.. (كارمينا بورانا) تغلق هذه الدائرة ..

لم يجرؤ على الأمل لكنه مد يده فى جيبه وأخرج السلك الذى ينظف به الغليون .. أولجه فى أحد ثقوب الدائرة ، ثم حاول أن يحركها .. إنها تتحرك !...

العجلة تـدور ... تـدور .. لقـد صـار المؤشر أمام عبارة (أنا الذى لا مملكة لى) ..

هنا سمع صوت (تيك) ... لقـد حدث شىء ما .. قاع الصندوق مزدوج وقد انفتح !

-2-

فيريس دولشيس إن تمبور

فلونتى ستات ساب أربور

جوليانا كوم سورور

دولشيس آمور !

* * *

(محمود السمدونى) نائم فلا توقظوه ..

يحلم بزوجته التى تركها فى مصر .. يحلم بـ (سيلين) أول فتاة فرنسية عرفها .. كانت تكلمه ساعات بالفرنسية وهو لا يفهم لكنه يهوى ما تقول .. كان قد تعلم أن لغة الإشارة تؤدى 80% من التفاهم العالمى .. لا يحتاج لتعلم اللغة سوى الأغبياء .. (سيلين) .. أحبها ثم أخذ منها مالاً وفر .. أخو زوجته سوف ينسفه نسفًا لو وجده .. سوف يهبط فى نيويورك ليجده ينتظره هناك ممسكًا بمطواة ويغمدها فى قلبه ...

هنا شعر بالشىء ثانية ..

فى المرة الأولى قال لنفســه إنه إرهــاق .. ربما الشريط اللاصق ينزلق ببطء .. لكن فى هذه المرة الصوت حقيقى ..

شىء يتحرك فى تلــك العلبــة المغلفة تحت إبطه .. شىء له خرفشة .. ذلك الصوت الكريه الذى تقشعر له أعصابك متى سمعت الأسفنج الرغوى المغلف للأجهزة الكهربية يحتك ببعضه ..

شىء خشن .. حى .. يتحرك فوق ورق مقوى ...

اقشعر للفكرة ، وقد تذكر تلك الحرباء التى وجدها فى شرفة داره وقد سقطت من غصن شجرة قريب .. فتك بها قبل أن يعــرف ما هى ، وكــان يعتبر أى شىء غريب (تعبان) بكسر التاء .. صحيح أن لها أربعة أرجل وأنها أقرب للسحلية لكنه لم يكن مهتمًا بالدقة البيولوجية ..

تخيل أن الشىء الذى فى العلبة يشبه تلك الحرباء ..

ومن المجنون الذى يضع شيئًا حيًا يتحرك فى صندوق ؟.. وما أهميته لدرجة التهريب ؟..

شىء واحد هو على يقين منه .. هذا الشعور بشع وكريه .. شىء حى له خرفشة يتحرك تحت إبطك على بعد ملليمترات من صدرك ..

ماذا يفعل ؟.. بالطبع لا شىء .. لا يمكن فتح العلبة هنا ..

فقط ليأمل أن تكون العلبة محكمة الغلق .. وليأمل ألا يكون لهذا الشىء عضو قادر على اختراق جدار العلبة ليلدغ صدره هناك بين الضلوع ..

- « تبًا لك يا كامل ..!... لو رأيتك الآن ! »

قالها وتثاءب كفرس النهر ثم واصل النوم ..

* * *

كانت الأضواء مطفأة فى أغلب أرجاء الطائرة ، باستثناء هذا الراكب أو ذاك المصمم على القراءة.. مفاصلى متصلبة فعلاً..

بحثت عن حذائى الذى كنت قد نزعته ، ثم نهضت بصعوبة مارًا فوق ساق جارى الذى ينام فى عمق .. أريد الحمام .. ليس لغرض مما قد يخطر ببالك ، ولكن كى أحرك مفاصلى قليلاً ..

مشيت وسط صفوف النائمين حتى بلغت الحمــام .. تبًا !.. هناك من يدخل دائمًا فى اللحظة التى تقرر أنت الدخول فيها. دومًا أنت الأخير ..

وقفت على الباب لحظة ، حتى سمعت صوت المياه ..

انفتح الباب وظهر وجه مألوف .. ذلك الرجل قاسى الملامح الذى كان يتكلم بلهجة ألمانية. نظر لى بلا مبالاة ثم مشى عائدًا لمقعده ..

كل هذا جميل فعلاً ، لكن مقعد الرجل أمامى فى الطائرة وقد نهض للحمام ثلاث مرات فى ساعة واحدة .. ليس من الطراز الذى يصاب بالإسهال على ما أعتقد .. إنه أذكى وأقسى من ذلك ، فماذا يفعله ؟...

آه .. يدخن .. الدخان يملأ المكان من الداخل .. فى هذا الزمن كان التدخين مسموحًا به فى درجات معينة ، كما أن التدخين كان ممكنًا فى الحمام قبل أن تظهر أجهزة استشعار الدخان اللعينة ..

فرغت من الحمام فخرجت ، هنا وجدت رجلاً ينتظر على الباب ليدخل .. ألمانى آخر كما هو واضح.. ألمانى جدًا لو كان لنا أن نصدق وجوه الضباط النازيين فى أفلام الحرب .. فك مربع مشقوق وشعر أشقر منتصب وعينان زرقاوان باردتان ...

إنه يلبس سترة جلدية سوداء ويتأهب للدخول ..

ماذا حدث للألمان ؟.. هل كان هتلر سيحتفظ بإيمانه بالشعب الآرى ، لو عرف أنهم جميعًا مصابون بالإسهال أو مدمنو تدخين ؟

عدت لمقعدى بصعوبة فى الظلام ، وجلست جوار الأخ (جيسون مكالستر) .. يجب أن أنام لكن كيف ؟.. لقد استنفدت كل النوم الممكن لى عندما ركبت الطائرة ، فلم يبق سوى أن أظل ساهرًا ..

اتخذت قرارى .. هناك مقعد فارغ على يسار الرجل ، وهذا يعنى أن بوسعى الانتقال له لأكون ناحية الممر .. أريد حرية حركة ..

انتقلت هناك فى الوقت المناسب لأن أجمل طفلة رأيتها فى حياتى كانت تمشى بلا هدى فى الممر المظلم .. قدرت أنها ضلت الطريق لمقعدها وأنها مذعورة ..

مددت يدى فى رفق لألمس كتفها ..

المشكلة أن منظرى مرعب ، وأننى آخر وجه يمكن أن يريح أعصاب طفل خائف لا يجد أمه .. سوف تصرخ وتصاب بتشنجات انقباضية ثم تموت .. لا شك فى هذا ...

لكنى على كل حال لمست ذراعها وقلت فى رفق بالإنجليزية :

ـ « هل تبحثين عن ماما يا صغيرة ؟ »

لكنها لم تنظر لى .. لم تصب بذعر ولم تبد أية علامة على أنها سمعتنى .. فقط واصلت طريقها بين المقاعد وهى متصلبة .. هنا خطر لى أنها لا تبدو مذعورة .. إنهــا تمشى كإنسان آلى (روبوت) ومن الممكن جدًا أن تكون ممن يمشون أثناء النوم .. هذا فى حد ذاته يبعث الرعب فى نفسك .. كنت طيلة حياتى أهاب الماشين أثناء النوم .. إنهم ينتمون لعالم آخر ، ولعل هذا سبب

خوفنا مــن أساطير الزومبى ... الزومبى ــ أسوأ من هذا ــ يمشون موتى !!

هذه الطائرة غريبة فعلاً .. هناك تجمع لا بأس به من غرباء الأطوار ..

متى تنتهى هذه الرحلة ؟

* * *

-3-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

اكسى فلوسكنت أربوريس

لاسكيف كاتونت فولوكريس

دولشيس آمور !

* * *

من جديد قصدت الحمام ماشيًا بين أقدام النائمين فى الظلام .. وقفت على الباب.. هنا رأيت المضيفة الأمريكية الشمطاء إياها واقفة فى تلك المقصورة فى نهاية الطائرة ، التى يضعون فيها عربة المشروبات ولوازم أخرى ، وهى تقع خلف ستار جوار باب الحمام ..

كانت واقفة نعم .. لكنها تسند رأسها للجدار وتضع يدها على صدغها كأنها تعانى ألمًا مريعًا .. تهز رأسها يمينًا ويسارًا كأن رأسها موشك على الانفجار ..

دنوت منهــا وفى أدب ســألتها إن كانت بخير .. سوف ترد بفظاظة تجعلنى أندم .. أعرف هذا يقينًا لكن لا يوجد حل آخر ..

قالت وهى تغمض عينيها بعنف كأنها تحاول أن تعصر كرتى عينيها لتخرجا :

– « هــذا اللحن .. اللحن الــذى كان جارك يردده لك والذى جعل عددًا من الركاب يحتشد ... إننى أعرفه .. أعرفه بقوة ، وهو لا يفارق ذهنى الآن .. »

غريب هــذا اللحن .. يبــدو أنه فى الأصل يبــدو أكثر تأثيرًا ويترك علامة لا تمحى فى النفس .. هذا هو التفسير الوحيد لأنه لم يسترع انتباهى قــط . وماذا فيه ؟.. هل به موجة خاصة تستدعى الكلاب ويسمعها هؤلاء ؟

كان اسمها (بليندا) قرأت الاسم على (البادج) الذى تضعه على صدرها .. هى شقراء منكوشة الشعر كريهة جدًا تمثل القبح الغربى الحقيقى .. قلت لها :

– « مس بليندا .. هل تذكر لحن يدفع إلى هذه الحركات المجنونة ؟ »

– « لا أدرى .. إنه يحرك شيئًا فى النفس .. »

ثم أردفت كأنها تحلم :

– « كنت فى شقتى فى نيويورك منــذ عشرة أيــام .. جاء صديقى (جيك) ذات ليلة ومعه هذا الشريط .. سمعناه فشعرنا بشعور لا يوصف .. لقد قضينا الليل نصغى له أكثر من مرة .. فى الصباح عرفت أننى سأكون مضيفة فى الرحلات بين باريس والقاهرة ... طلبت أن أعمل على هذه الطائرة بالذات .. القاهرة نيويورك .. »

– « هذا مزاج شخصى .. لا مشكلة هنالك .. »

قالت وهى تشرب كوبًا من الماء :

– « أنت لا تفهم .. لا أعرف السبب الذى دفعنى لذلك .. لم يكن مفترضًا أن أكون على هذه الطائرة قط . .. »

– « وماذا عن (جيك) هذا ؟ »

– « مات .. »

قالتها فى بساطة كأنها تشتمه لوقاحته مثلاً .. أصابنى الذهول .. صديقها مات منــذ عشرة أيام أو أقل لكنها حزينة لأن اللحن يحيرها !

– « أنا آسف لسماع هذا .. »

ـ « لا عليـك .. لسبب ما قرر أن يجرى جراحة استئصال اللوزتين .. فجأة صار متحمسًا وراح يؤكد إنه يعانى التهاب لوزتين مزمنًا وقد حان الوقت للخلاص منهما .. قلت له إنه مجنون .. هذا القرار لا يتخذ فجأة .. لم يشك قط ولم أر أحدًا يجرى جراحة اللوزتين وهو فى هذه السن .. لكنه كان مصرًا .. فى المستشفى مات على الفور بمجرد حقنه بالمخدر .. يقولون إنها حساسية لا يمكن التنبؤ بها .. »

ـ « هذا مؤسف .. كأنه كان على موعد عاجل مع قدره .. »

هتفت فى حماس :

ـ « نعم .. أنت لخصت الموقف .. موعد عاجل مع قدره ولم يكن بوسعه أن يتأخر أو يؤجل .. على كل حال تغلبت على الصدمة وقررت أن أعود للعمل .. هذه هى رحلتى الأولى .. »

ـ « وبالطبع نكرك اللحن الذى كان صاحبى يدندنه بكل شىء .. »

ـ « فعلاً ... »

هذه أطول محادثة تبادلتها مع مضيفة طائرة فى حياتى .. وحيدان واقفان فى نهاية الطائرة نتبادل الأسرار همسًا .. هذا غريب فعلاً ... المضيفات دومًا رسميات متخشبات .. ضحكة مشرقة لكنها ليست لك ..

يبدو أنها فطنت لذلك بدورها فاعتدلت وقالت بلهجة رسمية باردة :

ـ « هل من خدمة أقدمها لك ؟ »

بالطريقة المصرية المعروفة (إحنا حنتصاحب والا إيه ؟) .. هكذا احمرت أذناى .. لا بأس .. كنت أتوقع هذا لكنه تم متأخرًا نوعًا .. هززت رأسى لها ودخلت إلى الحمام ..

فى الداخل رحت أرمق أذنى فى المرآة .. حمراوين فعلاً.. ما زلت حساسًا بعد كل هذه الأعوام من تلقى الإهانات... هذا شىء مزعج ...

لو فكرنا فى الحافز الغامض الذى دفعهـا للعمل على هذه الطائرة ... ألا يبدو هذا نوعًا من النذير ؟؟ ماذا عـن الحافز الخفى الـذى شـعر به الأخ (جيك) ودفعـه ليجـرى جراحة لا حاجة له بها ؟

هل هناك أشياء غريبة هنا أم أنا صرت عجوزًا متشككًا ؟

1 ـ أشخاص كلهم سمعوا ذلك اللحن الشبيه بكارمينا بورانا .

2 ـ مضيفة قررت فجأة أن تعمل على هذه الطائرة ، وهى تعانى مشاكل مع ذلك اللحن .

3 ــ ألمان مصابون بالإسهال أو مرض سلس البول.

4 ــ طفلة مصاب بجوال النوم .

هذا كل شىء وهو كذلك قد لا يعنى أى شىء ..

على كل حال سوف نصل سريعًا ويمكن لى نسيان هذه اللحظات ..

إن جلوسك مفتوح العينين وحدك فى الظلام يجعلك عصبيًا .. لا شك فى هذا ..

* * *

عدت لمقعدى بصعوبة ، لأقابل رجلاً ثالثًا يتجه للحمام .. هذا رجل من الطراز الفارع قوى العضلات النازى إياه .. لو لم يكن ألمانيًا آخر فأنا مجنون .. شارب كث وشعر طويل يغطى كتفيه .. سوف أكتب يومًا ورقة بحثية مهمة تخلد اسمى فى تاريخ الطب ، عن الأسباب التى تجعل الألمان يصابون بالإسهال أكثر من سواهم ..

جلست فى المقعـد .. هنــا رأيت ذلك الرجل الذى كان يجلس أمامى ينهض .. مشى فى الممر متجهًا لمقدمة الطائرة وفى طريقه نهض زميله الذى دخل الحمام من قبل .. وهكذا اتجها معًا للمقدمة ، ووقفا لحظة .. ثم قرع الباب مرتين ..

فى ذلك الزمن لم يكن هناك دكتافون أو جرس ، ولم تكن هناك كاميرا أو عين سحرية يعرف بها الطيارون من يقف على الباب ....

انفتح الباب ورأيتهما يدخلان ..

ما هذا ؟.. ليس من حق أحد أن يدخل قمرة القيادة ما لم ....

* * *

-4-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

أكسى فلوسكنت أربوريس

لاسكيف كانونت فولوكريس

دولشيس آمور !

* * *

هذه كانت اللحظة التى ينتظرونها كما يبدو ..

من مؤخرة الطائرة ظهر ذلك الرجل كث الشارب الذى دخل الحمام منذ دقيقة .. كان يقتاد أمامه مضيفتين ، واحدة منهما هى الشمطاء والأخرى رأيتها فى بداية الرحلة فقط ..

كان يحمل سلاحًا .. مسدسًا على وجه التحديد ، وكان يصوبه إليهما ..

كان معظم الركاب نائمين ، لكن الرجل صاح بطريقة كفيلة بإيقاظ الجميع :

ــ « أعيدى الأضواء ! »

وفتح الجميع عيونهم مذعورين ..

هنا عاد الضوء من مكان ما فأعمى عيوننا .. ورأيت رجلاً لم أره من قبل يقف فى الممر ملوحًا بمسدس صائحًا بتلك اللهجة الألمانية العنيفة :

ــ « فليعلم الجميع أن هذه الطائرة مخطوفة !... »

تصاعد الصراخ والشهقات .. أراهن على أن 80% من الجالسين حسب أنه يحلم وأن هذا كابوس ...

ــ « لو التزمتم بتعليماتنا فلن يضار أحد .. لا نريد أبطالاً هنا .. أية محاولة للتمرد أو المقاومة ستقابل بطلقة فى الرأس .. تذكروا أن إطلاق الرصاص مخاطرة شديدة على ضغط الطائرة ، ونحن لن نتورع عن الإطلاق على النوافذ .. يجب أن أقول كذلك إننا جميعًا نحمل قنابل ! »

هكذا فهمــت ســبب دخولهم الحمام بكثرة .. يركبون قطع المسدسات المفككة.. أو يعدون فتائل المتفجرات أو أى شىء من هذا القبيل ..

أنا عبقرى فعلاً .. لم يمر على بدء الاختطاف أكثر من عشر ثوان ، وهأنذا قد خمنت الأمر .. لا توجد فى العالم فى هذه

اللحظة سوى منظمة ألمانية واحدة يمكن أن تفعل ذلك .. منظمة (بادر ماينوف) .. وهى على قدر علمى لم تخطف طائرات بعد لكن لابد من بداية ..

أنباء سيئة لأن هذه المنظمة معروفة بالتوحش والقسوة .. ومطالبهم غريبة جدًا ، مثل القضاء على الرأسمالية وانتصار الشيوعية .. معنى هذا أننى سأفقد حياتى لو لم تنتصر الشيوعية بسرعة ..

كان الجــو متوترًا .. وقد قدرت إذن أنهم أربعة .. واحد هو الذى كان يجلس خلفى .. هناك ذلك الوسيم البارد الذى يبدو كضابط نازى .. هناك ذلك الذى يهدد المضيفتين ، وهناك ذلك الذى وثب من مقعد فى المقدمة ..

طبعًا هناك اثنان يهددان الطيارين الآن ..

منعًا للخلط سأفترض أن أسماءهم هى :

مولر : الرجل الأشقر الذى كان يجلس أمامى ..

هانز : الرجل الذى يبدو كضابط نازى ..

بيتر : الرجل كث الشارب ذو الشعر الطويل (وهو ما عرفت فيما بعد أنه صحيح) ..

ماير : الرجل الذى برز الآن من مقدمة الطائرة ..

قالت المضيفة المذعورة لنا :

ـ « نفذوا ما يقول وسنكون جميعًا بخير .. »

ثم انفجرت فى بكاء هستيرى .. وهو ما يدل على أننا بخير فعلاً ..

راكب جالس نهض قليلاً وقال فى رعب :

ـ « أريد الذهاب للحمـ ... »

ـ « لا .. »

قالها الذى يهدد المضيفتين والذى سنسميه (بيتر) .

ـ « لكنى سوف ... »

ـ « لا .. »

لقد تحركت أمعاء الجميع وستكون تجربة قاسية فعلاً لو قرر هؤلاء ألا ندخل الحمام بقية الرحلة ..

الزوجة الفرنسية الشابة تبكى على صدر زوجها ، والكاتب السكوتلندى ما زال نائمًا .. لن يوقظه سوى سقوط الطائرة وسرطان البحر الذى سيطبق كلاباته على مؤخرته إذن ..

قمت بهزه بعنف فصحا مذعورًا وأطلق سبة ..

قلت له مشيرًا إلى مسرح العمليات :

ـ « هناك من يخطفون الطائرة .. من الصعب أن تنام وسط هذه الأحداث .. »

أطلق سـبة أخرى وراح ينظر حوله متسع العينين مبهور الأنفاس ..

* * *

-5-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

سى تينيريم كوام كوبيو

نى نيمورى ساب فوليو

أوسكيولارير كوم جوديو

دولشيس آمور !

* * *

خمسة أعوام كاملة احتاج لها (جيسون مكالستر) كى يحلل الأوراق التى وجدها فى قاع الصندوق .. وفى كل يوم كان يعرف أنه وقع على كشف حياته .. أهم شىء عرفه منذ تخرج فى الكلية ، لكنه كذلك أدرك أنه سر مخيف من تلك الأسرار التى يجـدر بنـا تركها كما هى .. شىء مـن الأشـياء التى كان (لافكرافت) يطلق عليها مصطلح (الذى لا اسم له) ..

كان على يقين من شىء واحد : هذه الأوراق وقعت فى يد (أورف) . هى أو نسخة منها .. هو يعرف أن (أورف) دمر

أكثر ما وجده ، فهل زعم ذلك وأخفاه فى صندوقٍ وجد طريقه إلى هنا بعد الحرب ؟.. أم أن هذه نسخة أخرى فعلاً ؟

ما يعرفه هـو أن هنـاك مقاطع كاملة مما استعمله (كارل أورف) ، وبعض مقاطع (عجلة الحظ) موجودة فعلاً .. لكن أغلب ما وجده كان جديدًا .. وكان يحمل ذات الطابع المشئوم المقبض ..

هناك خلطة غريبة فى هذه الأشعار .. الكثير من العواطف الرقيقة والكثير من الهرطقة والكثير من الإباحية والمجون والكثير من التحدى ..

المؤكد كذلك أن هذه الأشعار ليست ألمانية فقط . إنها تحمل علامة من كل بلد فى أوروبا تقريبًا (وكل بلد فى أوروبا كان يستعمل اللاتينية فى ذلك الوقت ، كما أن الفصحى لغة تجمع البلدان العربية مهما اختلفت اللهجات) .. ومن المؤكد أن أكثر من واحد كتبها ... هناك اسمان مؤكدان هما (فالتر شاتيون) و(بيتر بلويز) .. وهناك شاعر غامض اصطلح الدارسون على تسميته (كبير الشعراء) Archpoet ولا أحد يعرف عنه الكثير ، لكنه يشبه (أبو نواس) عندنا فى مجونه وولعه الشديد بالخمر ، لدرجة أنه يتمنى ألا يموت إلا فى حانة .. لا أحد يعرف بالضبط

سبب تسمية (الجوليارد) بهذا الاسم ، لكنه قريب جدًا من لفظة لاتينية تعنى (الشخص المرح) ..

* * *

كانت الأشعار مقسمة لأربعة أجزاء واضحة :

- بريمو فير (الربيع) .

- إن تابيرنا (فى الحانة)

- كور دامورز (محكمة الحب)

- بلانزيفلور إهيلينا (بلانشفلور وهيلين) .

هناك أبيات كثيرة لم يستطع ترجمتها ولم يعرف إلام ترمز .. لذا أخذها كما هى .. إن اللغة اللاتينية كانت حية فى ذلك العصر ، وقد تغيرت كثيرًا وتسرب لها الكثير من الألمانية ..

وجد كذلك طريقة غناء هذه الأبيات التى تدعى neume .. وقـد اسـتعان بصديق مولـع بموسـيقا القـرون الوسـطى ، كى يتوصلا إلى اللحن التقريبى لهذه الكلمات كما كانت تغنى وقتها ..

إنه رائع .. مذهل ...

كـــان اســـم صديقه (أندرو) ، وهو عاشق للموسيقا بشكل لا يوصـــف .. شيء بدين يعـــرق بكثافة ، ويدخن بكثافة أكثر ، وله شعر طويل ينسدل على كتفيه ..

فى ذلك اليوم قال لأندرو :

ـ « هذه الألحان يجب أن يسمعها العالم .. »

قال له وهو ينفث الدخان بكثافة :

ـ « لست ميالاً لذلك ... إن بقاء هذه الأشعار سرًا وإخفاءهم لها ، له بالتأكيد سبب مهم .. »

ـ « هل تعنى ما فيها من كلام ماجن ؟.. لا مشكلة هنالك .. كأن هناك من يسبك باللغة السواحيلية .. لن تفهم شتائمه ولن تهتم على الإطلاق .. »

ـ « اللحن نفسه آسر ومخيف .. إنه جمال باهر يشعر المرء بالرعـــب عنـــدما يطلع النـــاس عليه .. أحيانًا يكون من الحكمة ألا تنظر لبهاء الشمس أبدًا .. »

ثم فكر (أندرو) قليلاً وحك لحيته وقال :

ـ « ألم يخطـــر لـــك أن هذه الأشعار على اتصال بالشياطين فعـــلاً ؟ »

ـ « أنت تقول هذا الهراء ؟ »

ـ « ليس هراء تمامًا .. لماذا ماتت أسماك الزينة فى بيتى فجأة عندما عزفت الألحان أمامها ؟.. ولماذا تقوس القط وانتفش شعره وراح يطلق زئيرًا مرعبًا ؟... »

ـ « أنت تعرف خيرًا منى أن آذان الحيوانات قد تلتقط نغمات مؤلمة لا نسمعها نحن .. »

ـ « لقد فكرت فى الأمر بصورة أخرى .. هذه الألحان استدعت شيئًا لا نراه نحن ، لكن هذه الحيوانات رأته .. »

نظر (جيسون) إلى طرف السيجار المشتعل فى يد صاحبه البدين ، وراح يتذكر ..

لماذا منعت الكنيسة هؤلاء الجوليارد من المشاركة فى الإنشاد عام 1227 ؟.. لماذا ثار عليهم قنصل (تريفز) ومنع ذكر اسمهم ؟..

لماذا منعوا من دخول الكنائس فى (كولونا) ؟... لماذا عوملوا دومًا معاملة الهراطقة ؟

لكنـــه استبعد الفــكرة .. لو كان لدى أحــد شك فيهم لحُرقوا بلا مناقشة .. ما كان أسهل الحرق فى تلك العصور ..

على كل حال لقد بدأت هذه المخطوطات تضايقه ..

مرة أو مرتين وضعها فى خزانة مغلقة ، ثم صحا من النوم ليجدها على المنضدة أو المكتب ..

قام (أندرو) بتسجيل الألحان على شرائط ، ثم قرر أن يمسحها ليبدأ من جديد .. لكن عملية مسح الشرائط على الكاسيت باءت بالفشل .. مهما فعلت يظل الشريط كما هو ..

هــذه أشــياء غريبة وتثير الغيظ ، لكنها لا تفسر بموضوع الشياطين هذا ..

طلب مــن أندرو أن يقابله ليتخذا قرارًا نهائيًا بصدد هذه الأشعار والتسجيلات ، لكن (أندرو) اعتذر لأنه سيقوم برحلة بحرية باليخت الخاص به صباح غد ..

ـ « هذا وقت سخيف للنزهة البحرية .. »

ابتسم أندرو وتحسس صدره البدين :

ـ « إنه هــذا النــداء لهواء البحر .. عندما يأتينى فأنا ألبى بلا مناقشة .. أشعر بأننى أختنق .. سوف نلتقى بعد يومين ونناقش هذا كله .. »

بالطبع لم يلتقيا قط ، ولن يلتقيا إلا يوم الحساب ، لأن اليخت الصغير لم يعد ..

ارتطــم بالصـــخور وانقلــب .. وبعــد أســبوع جــرفت الأمواج الحطــام ومعــه جثــة أنــدرو ... هذه من الأمور التى تثير جنونك ، لو تأخــر كثيــرًا .. لو عدل عن رحلته هذه .. لو اقتنع بكلامى ....

لكنك أحيانًا تشــعر بأن الموت له نداء لا يمكن التخلف عنه ، والذين يقرءون قصص الحوادث بعناية يقابلون دومًا هذا الفتى الذى أصر على ركــوب الطائرة التى ستسقط أو السفينة التى

ستغرق ، برغم عشرات الحوادث الصغيرة التى كان يمكن أن تجعله يعدل عن ذلــك .. عندها يمصمصون شفاههم قائلين : « يا سلام .. عُمْر ! » ..

مات (أندرو) تاركًا (جيسون) يواجه السر وحده ..

كـــان ما فعله (جيســـون) هو أن كتب كتابه المنتظر معتمدًا على 10% مما عرفه فعلاً ، وقرر أن الباقى خطر فعلاً ويحسن الابتعاد عنه حاليًا .. لكنه اتخذ احتياطًا علميًّا بسيطًا قبل هذا ..

لقد اتخذ القرار عندما لم تعد هناك حاجة له .. لقد اختفت المخطوطات وشرائط الكاسيت من خزانته !

الفكرة المرعبــة التى خطــرت له ، هى أن هذه المخطوطات عرفت أنها عادت للحياة ، وهى مصــممة على أن تعيش .. أن توجد !!

لكنــه كان رجــل علم ولم يكـــن مهتمًا بهذه السخافات .. لقد فقـد مخطوطـات مهمة فعــلاً وليســت لديه طريقــة لمعرفة

كيف فقدهــا .. لا توجــد سرقة .. هـــو يعرف أن التفسير أعقد من ذلك وأن إبلاغ الشرطة لن يحقق شيئًا ، دعك من أنه فعليًا سرق هذه الآثار من الحكومة الألمانية فلا داعى لدخول الشرطة فى القصــة ...

كان يذكــر اللحن والأغنية الأساسية التى استنبط نغماتها مع صديقه .. وكـــان يتذكر مقاطع كاملة من الأشعار .. لكنه نسى الكثير كذلك ..

قرر السفر فى رحلة سياحية إلى مصر ، وقد ساعدته هذه الرحلة كثيرًا فى نسيان الأحداث العاصفة الأخيرة .. إن مصر بلد مفعم بالأسرار ، لكن هناك كثيرين يبحثون فيها لو تذكرت عدد الكتب التى صدرت عن الهرم أو سحر المصريين .. لو كتبت عن مصر فأنت قطرة فى بحر ، بينما أنت الوحيد المتميز الذى يعرف كل شىء عن الجوليارد ..

هناك فى مصر جاءته بالبريد الطبعة الجديدة من كتابه ، وقد راح يطالعه فى نهم كأنه يراه لأول مرة .. وهنا خطر له خاطر غريب وغير مفهوم ..

لماذا لا يسـوقه فى الولايات المتحـدة ؟... إنه لم يجرب التسويق فى الولايات المتحدة من قبل ، ويقال إنها سوق نهمة متعطشة للكتب .. هكذا تبادل بعض المراسلات مع ناشرين هناك ، وكانت الموافقة ..

برغم هذا شعر بأنه لابد من الذهاب هناك بنفسه ليرى كل شىء ، ويتفقد الجو ...

* * *

-6-

مويم إست بروبوسيتام

إن تابيرنا مورى

أوت سنت فينا

بروكسيما مورينتس أورى

* * *

من قمرة القيادة دوت صرخة عالية ...

توقعت سـماع طلقـة لكن هـذا لم يحـدث لحسن الحظ .. لو انطلقت رصاصة فلسوف يحدث ما لا تحمـد عقبـاه للطائرة أو هذا ما أعتقده .. إن تحطيم نافذة سوف يؤدى بلا شك إلى تفريغ الضغط كله فى ثوان ...

قال (جيسون) فى رعب :

– « ماذا يحدث هنا ؟ »

نظرت له فى غيظ بما معناه (صح النوم) .. وكان قد استعاد لكنته الأسكتلندية تمامًا فصار كلامه مستحيل الفهم فعلاً ...

تصاعدت صرخات كثيرة ، وهى ظاهرة مسلية سوف تتكرر كثيرًا .. كل صرخة تتلوها عشرات من صرخات الركاب .. ظللت

جالسًا أنظر ليدى فى قلق وسمعت عددًا لا بأس منه من العرب يتلو آيات القرآن .. لا تنس أن الطائرة قامت من القاهرة وعليها مصريون كثيرون ..

بعد ثانيتين ظهر ذلك الأخ الذى يبدو كضابط نازى ، والذى سنسميه (هانز) .. لماذا (هانز) ؟... لأنه يبدو (هانز) فعلاً ولأن هذا و(فريتز) أول اسمين ألمانيين يخطران بذهنى ..

ظهر على باب قمرة القيادة وكان يشهر مسدسًا فاخر الشكل .. صاح وهو يوجه كلامه للجميع :

ـ « طبيب !.. نريد طبيبًا ! »

هذه هى المشكلة .. سوف أجد نفسى متورطًا معهم قريبًا منهم أكثر من اللازم وهذا ما لا أريده .. عندما ينفجر غضبهم سيقتلون أول شخص وهو الطبيب .. عندما تسوء الأمر أنفجر معهم .. لحظة اقتحام الطائرة سوف أتلقى الرصاصة الأولى من القوات الخاصة ، وسوف تكرمنى نقابة الأطباء بأن تعلق صورتى فى دورة المياه .. لذا فضلت الصمت على أمل أن يتبين وجود طبيب آخر ..

ـ « طبيب .. هل تسمعون ؟ »

نظرت لمن حولى .. يمكن أن أؤكد أنهم جميعًا أطباء .. هذه أول طائرة تعج بالأطباء فى التاريخ .. لكنهم جميعًا يفكرون مثلى .. الجبناء !!.. الكذابون !

فى تردد رفعت يدى اليمنى فصاح الرجل فى خشونة :

ـ « ماذا تنتظر ؟... هه ؟.. تحرك ! »

نهضت فى تثاقل متجهًا لمقدمة الطائرة .. أعرف ما سوف يحدث .. سوف يرينى جثة الطيار التى نسفوا رأسها ، ثم يأمرنى بأن أعيده للحياة فإن لم أفعل فجر رأسى بدورى .. عندما يغضب أو يقلق سوف يقتلنى ليريح أعصابه .. هذه أمور مفهومة ..

قال لى وأنا أقترب منه :

ـ « جواز سفرك ! ! »

ناولته جواز السفر الأخضر فى تردد .. هذا فضول لا أحبه .. لكنى خمنت طريقة تفكيره .. هو من (بادر ماينوف) .. إذن هو سيقتل أى أمريكى هنا .. ليست لديهم أسباب لقتل مصرى مثلى ..

دخلت القمرة فكان الوضع أسوأ مما توقعت ..

دائمًا ما يكون هناك فى هذه المواقف شخصان عصبيان : الأول من الرهائن .. وهو يتهور ويحاول لعب دور البطل ،

ويكـــون هنـــاك شخص عصبى آخر مـــن القراصنة .. هذا يفقد أعصابه ويعتدى على الأول .. ودائمًا ما يكون هناك شخص أكثر تعقــلاً يلومه : لا تتهــور يا (جون) .. إنه مسلح .. لا تقتله يا (هانز) .. إنه غير مسلح ..

النتيجة هى أننى دخلت لأجد مضيفة لم أرها من قبل تصرخ وهى راكعــة على الأرض ، بينما هى تريح على فخذيها رأسًا مهشمًا لمن يبدو أنه طيار .. لقد تلقى ضربة قوية جدًّا بمقبض المسدس على رأسه .. ضربة أقوى من اللازم .. وكان هناك شخص آخر يلبس كالطيارين وقد استند إلى الجدار وراح ينزف بغزارة من أنفه ...

فحصت الشاب الذى يرقد على الأرض فأدركت أنه ميت ... لا يوجد نبض ...

أما هذا الذى يستند إلى الجدار فمن الواضح أنه تلقى ما هو أكثر من ضربة فى أنفه ..

نســيت أن أقــول إن هنــاك طيــارًا ثالثًا شابًا مذعورًا يثبت سماعات إلى رأسه ، ويمسك بالميكروفون ويبدو أنه قلق جدًّا .. إنهم جميعًا أمريكيون ...

قلت للأخ (مولر) الــذى كــان يجلس خلفى فى الطائرة ، والذى قدرت أنه قابل للكلام معه :

ـ « هذا الفتى ميت .. »

هتف (هانز) فى عصبية وهو يركل الأرض بقدمه :

ـ « افعل شيئًا .. أنت طبيب !! »

ـ « قلت لك إنه ميت"

كنت أشتهى أن أقــول له تعليقًا جديــرًا بى مثــل (أنا طبيب ولست من سحرة الفــودوو) أو (نســوا أن يعلمونى إصلاح الرءوس المهشمة فى الكليــة) ، لكن لا أحــد يجــد الشجاعة أو الذهن الصافى ليقول كلامًا كهذا بينما مسدسان مصوبان لرأسه طبعًا .. دع هذه القدرات للأخ (جيمس بوند) ... كنت أمقت دومًا تلك القصص التى لا يكف البطل فيها عن الكلام بثقة وسخرية بينما رصاص المافيا ينطلق نحوه ..

دعك من أن هــؤلاء القــوم لا يمزحون .. إن رجال (بادر ماينوف) عصبيو المزاج شرسون فعلاً ..

ـ « وهذا ؟ »

ركعت جــوار الرجــل الأكبــر سنًا الذى ينزف من أنفه ، وتحسست نبضه وحدقته ، ثم قلت :

ـ « يبـدو لى أنه يمر بـطور (ما بعد الارتجاج) ، لكنه سيعيش على ما أعتقد .. »

هنا سألنى (مولر) فى هدوء نسبى :

ـ « هل سيكون قادرًا على قيادة الطائرة ؟ »

فهمت !

هذان المخبولان قتلا الطيار المساعد وكادا يقتلان الطيار نفسه .. ومن الواضح أن الثالث ليس طيارًا بل هو مطرب روك أو سباك أو منظف مداخن .. يبدو أن كل ما يجيده هو الاتصال .. وقد سمعت بعض ما يقول ففهمت أنه ينقل صورة كاملة عن الوضع للأرض ... لقد أمروه بذلك ..

كل هذا جميل جدًا ..

* * *

-7-

تونك كانتابونت ليتيوس

أنجيلورام كورى

دوس سيت بروبيتيوس

ويك بوتاتورى

* **

فيما عدا ما تم إتلافه ، يعرف الدارسون أن (الكارمينا بورانا) موجودة فى ميونيخ اليوم ..

كان الجوليارد مصدر صداع للسلطات الكنسية .. فقد كانوا عابثين شديدى المجون ، وكانت لديهم ألعابهم السخيفة مثل لعبة الرنجة .. عندما يجر كل منهم سمكة رنجة بخيط ويركض وسط موكب من زملائه محاولاً أن يدوس أسماك رفاقه ويحمى سمكته ، وكان هناك موكب الجحش الذى يلبسونه ثيابًا سخيفة مزخرفة ويحييه كل من يمر به ..

هكذا اشتكت الكنيسة من أن هؤلاء الجوليارد يرقصون لابسين كالنساء ، ويأكلون البودنج الأسود فى المحراب ذاته ، ويلعبون النرد ، ويضايقون المارة .. لكن ما كانوا يفعلونه ليلاً كان أسوأ ..

لم يبق شىء من هؤلاء الفتية سوى أشعارهم .. وهذه الأشعار كانت خطرة كما يبدو ..

لقد قام أحدهم بجمع المخطوطات المبعثرة فى مجلد يدعى (كودكس بورانوس) ، وهذا أدى إلى بعض الخلط فى النص وترتيب الصفحات .. على الغلاف ترى رسمًا لعجلة الحظ بأبياتها التى تكلمنا عنها ..

ترى هل ولد النص فى (بندكتبويرن) فعلاً حيث وجد ؟

هذا غير مؤكد .. فقط هناك يقين أنه كتب فى بلد يتكلم الألمانية البافارية .. ولربما جنوب إيطاليا كذلك .. ويقال إن النص بلغ دير (بندكتبويرن) عام 1350 عن طريق أسرة تدعى (فيتلزباخر) ..

طبعًا هناك أجزاء كثيرة ناقصة لا يعرف أحد ما احتوته بالضبط ..

وكان أول لقاء لكارل أورف مع المجموعة هو قراءته لكتاب (جون أدنجتون سايموند) عنها .. الكتاب صدر عام 1884 واسمه (خمر ونساء وغناء) . وهكذا بدأ البحث المدقق فى هذا الموضوع بمعونة شاب اسمه (مايكل هوفمان) .. ويقول البعض إنه اعتمد بالكامل على الشروح الموسيقية المصاحبة للأشعار ، بينما يرى البعض أنه ألف الألحان من الصفر ..

عرفنا ما حدث بالضبط .. لقد قدمت (كارمينا بورانا) ــ أو ما سمح (أورف) بتقديمه - على أوبرا فرانكفورت عام 1937. وطبعًا كانَ نجاحها ساحقًا مدويًا .. ما زال صدى التصفيق مستمرًا حتى اليوم ، ولا يجادل فيه أحد .. حتى مع تهمة النازية التى لاحقت المؤلف ، فقد كانت روعة المقطوعة أقوى من أن تقتلها الاتهامات ..

لكن ما الذى عرفه (أورف) وأخفاه طيلة حياته ، وما الذى عرضه على النازيين فرفضوا لخطورة الفكرة ؟

(جيسون) اقترب جدًا من السر .. لكن الأوراق ضاعت ومن الواضح أنه لن يستمر أكثر ..

حتى لو لم تكن الأوراق قد ضاعت ، فعليه أن يفر من اختطاف طائرة يهدد جميع من فيها ..

* * *

ــ « هل أنت بخير ؟.. متأكد من ذلك ؟ »

هز الطيار رأسه وضغط على أنفه بالمنديل .. كان يتأرجح كأنه ثمل ، وقد قدرت أنه ليس على ما يرام بتاتًا .. من الصعب تخيل أن ينفذ تعليمات برج المراقبة وينزل العجلات ، ويتخير

ممرًا .. ستكون هذه معجزة .. المعجزة الأخرى هى أن نجد شخصًا يحل محله ..

هذه المرة لم أستطع كتمان رأيى أكثر فقلت فى غيظ :

ــ « ألا تجدونها فكرة عجيبة أن تحاولوا قتل الطيارين ونحن فى الجو ؟ »

قال (مولر) الذى قدرت أنه أهدأ وأكثر تعقلاً :

ــ « من المفترض أن يفهما هذا منذ البداية .. لا أحد يلعب أدوار الأبطال معنا .. هما المتسببان فى هذا الوضع .. »

كان الطيار على مقعده الآن يحاول استعادة ما فاته .. يتفقد العدادات والمؤشرات ، لكنى قدرت أنه تقريبًا لا يرى أى شىء .. كل شىء مزدوج ...

أما عن زميله الشاب فقد أخرجت منديلى وفردته على وجهه المهشم ، ثم جررته بمعونة المضيفة المولولة إلى ركن القمرة ..

ــ « هل نخرجه من هنا ؟ »

قال (مولر) فى لهجة آمرة :

ــ « لا .. سيعم الذعر بين الركاب لو رأوا جثثًا .. »

ثم نظر إلى ضابط الاتصالات الشاب المذعور وعاد يسأله :

ــ « هل أبلغتهم ؟ »

ــ « نعم .. كل شىء .. يريدون الكلام معك .. »

مد (مولر) يـده وتنـاول الميكروفون ووضع فردة من السماعة على أذنه وأصغى قليلاً ثم قال :

ــ « اسمع .. لا وقت عندى لهذا الهراء .. نحن من عصبة الجيش الأحمر .. ما نطلبه هو طرف مخول بالمفاوضة من الحكومة الألمانية الفيدرالية يكون بانتظارنا فى المطار .. إن لدينا قائمة مطالب سوف تعرفونها عنـدما تهبط الطائرة .. الركاب ؟.. كلهم بخير لكن لا أضمن سلامتهم بعد ذلك ، فى حالة المماطلة أو محاولة التلاعب بنا .. نحن مسلحون ومعنا قنابل تكفى لتفجير الطائرة .. »

ثم أغلق الجهاز ونظر لنا نظرة نارية ..

قال لى وهو يضع يديه فى جيبه :

ــ « والآن يا دكتور يمكنك الخروج لكن لتبق قريبًا من هنا .. قد نحتاج لك ثانية .. »

ــ « بالتأكيد .. »

وخرجت من القمرة بينما كل الطائرة تنظر لى فى فضول ..

اتجهت لمقعد قريب من القمرة وجلست .. هنا سمعت ذلك الأخ (بيتر) كث الشارب طويل الشعر ، يصيح وهو يلوح بمسدسه :

ـ « الأمريكـان على اليمين !.. الأمريكـان على اليمين !.. باقى الجنسيات على اليسار ! »

نهض أمريكى مترددًا فاستوقفه وطلب جواز سفره .. ألقى عليه نظرة ثم سمح له بالمرور ..

هذا ما توقعته فعلاً .. يفصلون الأمريكان تمهيدًا ليكونوا أول الضحايا .. باعتبارهـم رمز الرأسـمالية الشيطانية التى تحرك العالم ..

وهكذا نهض عدد لا بأس به من القوم بينهم نساء وأطفال يبكون واتخذوا مقاعدهم كمـا طلب الرجـل ، وبالطبع فحص جوازات سفرهم جميعًا ... خطر لى أنه أحمق .. فلا أحد سيزعم أنه أمريكى ، بل سيزعم البعض أنه غير أمريكى .. الأجدر أن يتفقد جوازات سفر الجالسين على اليسار ..

على كل حال نحن لا نعرف خطتهم يقينًا .. ربما يعدمون غير الأمريكيين ويبقون الأمريكيين للتفاوض ؟... محيرة ومخيفة فعلاً هذه المواقف ، كما كان يحدث فى لجان الإعدام بالهوية فى لبنان

أيام الحرب الأهلية ـ وكان هذا زمنها ـ عندما كانت الميليشيات تستوقف الحافلات .. يتم فحص بطاقات الهوية .. ويتم إنزال من يريدون حيـث يقتلونه على قارعة الطريق. السؤال هنـا هو : هل سيقتلون المسلمين أم المسيحيين ؟.. أنت لا تعرف .. حتى اللحظة الأخيرة لا تعرف إن كنت أنت الشخص الخطأ فى المكان الخطأ فى الزمن الخطأ أم لا .. فقط عندما تتحرك الحافلة مبتعدة عن المنبحة تعرف شيئًا واحدًا : هم لم يكونوا يريدون دينك أنت !

فعلاً شىء مرعب ....

الطفلة التى رأيتهـا من قبل تمشى بين المقاعد بتلك الطريقة الغامضة ، وشعرها الأسود يغطى نصف وجهها .. فيما بعد عرفت أن الشعر الأسود الطويل الذى يغطى نصف الوجه والثوب الأبيض أيقونتان مهمتان فى الرعب اليابانى .. فعلاً معهم حق .. هؤلاء اليابانيون عباقرة ..

بالفعـل أثار منظرها الارتباك .. وهتف أحد القراصنة ، وهو الذى اصطلحت على تسميته (ماير) وهو يرفع فوهة مسدسه :

ـ « من والد هذه الطفلة ؟.. مُرها بالابتعاد ! »

لكن أحدًا لم يرد ..

مد يــده يلمس كتفهــا بغلظة فلم تنظر له وواصلت المشى .. عاد يكرر الصياح فى انفلات أعصاب :

ــ « من والد هذه الصغيرة ؟ »

لم يرد أحد .. إما أنه لا أبا لها وإما أن أباها يخشى طلقة فى الرأس .. هكذا مد (ماير) يده وأطبق على ذراعها بغلظة ، فصحت فيه :

ــ « دعها !.. إنها غالبًا تمشى أثناء النوم أو شىء من هذا القبيل .. هل تعتقد أن هذه الطفلة تشكل خطرًا حقيقيًا مرعبًا على أربعة رجال مسلحين ؟ »

نظر لى فى غباء فقلت :

ــ « إذن دعها معى .. »

طبعًا عندما يكون حجم الضحية وسنها صغيرين يصير من السخف أن تصر على عدوانيتك .. حتى القراصنة لن يؤذوا طفلة بهذا الحجم ، وحتى القراصنة يخجلون من أنفسهم ..

جذبت الطفلة بشىء من العنف وأجلستها جوارى ..

غريبة .. هذا واضح .. جميلة جدًا كذلك .. لكنها لا تنظر لى على الإطلاق برغم أن عينها مفتوحة .. العين الوحيدة التى لا يداريها الشعر ..

مددت يــدى وأزحــت الشــعر عــن العين الأخــرى ، وليتنى ما فعلت !

* * *

-8-

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

* * *

من جديد هذا الصوت يتعالى ..

من جديد الشيء يتحرك ..

تحسس (محمود السمدونى) ما تحت إبطه حيث ثبت الشريط اللاصق .. ماذا يمكن أن يوجد فى هذه العلبة ؟.. يمكنه أن يجن فعلاً ..

الخرفشة .. الحكة .. الخرفشة .. الحفيف .. كلها مشاعر تثير الغيظ ، وهو برغم قسوة حياته كان حساسًا شديد العصبية ..

رأى هؤلاء (الخواجات) يهددون الناس ويخطفون الطائرة .. فهم هذا بصعوبة لأنهم تكلموا بالإنجليزية ، وهو لا يفهم إلا القليل منها .. فرنسيته ويونانيته أفضل ..

كان هذا مزعجًا .. سوف يؤخر عملية التسليم والحصول على المال .. كان يعرف يقينًا أنه سينجو .. لو مات الجميع لنجا هو ،

لأنه رأى الأسوأ ومر بكل موقف عسير يمكنك تخيله .. لكن المشكلة هى التأخير ..

انتقل الأمريكيون للجانب الأيمن ، فظل حيث هو .. وقد راهن على أن جارته أمريكية لكنها تتظاهر بالغباء ..

كانت هذه مشكلته الوحيدة حتى عاد الشيء يتحرك ..

راح ينثنى على نفسه ويتلوى محاولاً أن يسكته .. السيدة الزنجية المسنة المحترمة جدًا الجالسة بجواره راحت ترمقه فى شك وتقزز .. لابد أنها اعتقدته منحرفًا بشكل ما ..

فى النهاية لم يعد يتحمل أكثر ..

فى العلبة شيء حى ، وهذا الشيء يحاول التملص وعلى الأرجح سينجح .. عندها ؟

عندها سيجرى شيء حرشفى له أقدام مخلبية على لحمه .. لن يستطيع الفرار من ثم سوف يزحف على ظهره وينزلق فى سراويله ..

فكرة مرعبة جدًا .. إنه يقشعر بالفعل ..

ولماذا تذكر اللعين أنه حى ؟. هل هو جائع ؟.. هذا يزيد تعقيد الأمور ..

راح يعتصر ذاكرته ، فتذكر أن بعض مربيى الحيوانات يحاولون تهريب قط عزيز أو كلب محبوب معهم فى الطائرة .. لكن الاحتمال مستبعد لأن حجم العلبة لا يتسع لهذا ، دعك من أن من يهرب قطًا لا يدفع كل هذا المال ...

هناك كذلك قصة أخرى عن الذين يهربون حيوانًا ثمينًا نادرًا .. ربما الأمر كذلك ؟ .. هناك قوانين لحماية الأنواع وهناك حجر صحى و ... و ... ربما كان (كامل) يحاول تهريب عينة ثمينة من مصر للولايات المتحدة ، لكن أية حيوانات نادرة فى مصر ؟.. ثعبان (الطريشة) ؟.. لا يوجد شىء آخر على قدر علمه ..

فأر محمل ببراغيث الطاعون ؟... لم يكن مثقفًا لكنه سمع هذه القصة فى مصر .. وسمع أن فئران السفن كانت تنقل الطاعون لقارات كاملة فى الماضى . وسط حرب الإشاعات كانت هناك إشاعة قوية عن قيام إسرائيل بتهريب فئران تحمل براغيث الطاعون عبر حدودنا الشرقية .. هل هذا هو الجواب هنا ؟ ربما هناك من يريد بدء حرب بيولوجية فى أمريكا ؟

لو كان كذلك فهى كارثة ، لأن البراغيث لن تبقى فى العلبة طويلاً .. لا البراغيث ولا الفأر ..

راح يهرش فى عدة مواضع من جسده وهو يردد :

– « الله يخرب بيتك يا كامل ..! »

نظرت له السيدة الوقور فى تعال ، ثم أخرجت إنجيلاً من حقيبتها وراحت تقرأ وهى تردد كلامًا غير مفهوم ..

فى البداية خطف طائرة .. ثم جار مقعد منحرف .. والآن يبدو أنه أجرب كذلك .. فليرحمنا الرب .. فليرحمنا الرب ..

فى النهاية لم يتحمل محمود أكثر ، فنهض وغادر مقعده ..

هنا رأى نفسه أمام فوهة المسدس والعينين القاسيتين لمن أسميه (بيتر) .. الفتى طويل الشعر ذا الشارب الكث .. نموذج الفتى الوسيم الأنيق فى ذلك العصر ، بشعره الناعم الأسود المنسدل على الكتفين ، والشارب الطويل المتدلى على جانبى الفم ، والبنطال (الشارلستون) المتسع من أسفل ، والسترة الجلدية اللامعة ...

– « عد لمقعدك .. »

قالها بالإنجليزية ، فصاح (محمود) الذى لم يفهم الكلام وفهم الإشارة :

– « سأموت يا خواجة .. أنا محصور .. »

قالها بالعربية فجاء الرد بالإنجليزية :

– « إلزم مقعدك .. »

وأتبع هذا بأن لوى ذراعه بحركة محترفة ، ثم هوى بمؤخرة المسدس على رأسه فسقط على مقعده وهو يعوى ألمًا ..

ـ « الله يخرب بيتك يا كامل ..! »

ثم رفع عينــه ليرى القرصان ينتظر رد فعله ، وقــد صوب المسدس إلى رأسه ، فقال بالعربية وهو يتحسس موضع الضربة :

ـ « انتهى .. لقد بللت نفسى .. أنتم المسئولون عن ذلك ! »

تجاهله القرصان ، ونظر للسيدة الوقور وقال فى حدة :

ـ « جواز سفرك .. »

مدت يدها وناولته الجواز .. فقرأ الصفحة الأولى ثم أشار إلى الصف الأيمن لتجلس فيه ، فأغلقت إنجيلها ونهضت بذات الكبرياء .. يسهل على كل من رأى فيلمًا أمريكيًّا أن يعرف أنها زنجية أمريكية .. لن تخدع أحدًا .. لكنها على كل حال شعرت بسرور لخلاصها من محمود هذا فقد أثار ريبتها بحركاته الكثيرة وهرشه الذى لا يتوقف ..

ما إن زال الألم عن رأس محمود حتى عاد الشىء يتحرك ..

هنا قرر أنه غالبًا سيحاول فك الشريط اللاصق وهو جالس .. لن يتحمل أكثر ..

-9-

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

* * *

أطلقتُ شهقة لبشاعة ما رأيت ، وأدرت وجهى للنافذة ..

هنا سمعت صوتًا أنثويًا رخيمًا يقول لى بالعربية :

ـ « هل هو عيب خلقى ؟ »

رفعت عينى لأجد تلك السيدة الفاتنة التى لم أر أجمل منها فى حياتي. كان وجهها مألوفًا كما قلت لك .. لكنى أجلت التعارف لما بعد ، وقلت وأنا أسدل الشعر على عين الفتاة :

ـ « غالبًا هو حادث .. تجويف العين فارغ تمامًا فلا توجد سوى هذه الفجوة الدامية .. »

ثم ابتلعت كلامى .. كنا ننسى أنفسنا ونحن طلبة طب فنتكلم بالعربية أمام المريض .. وكنا نقول كلامًا مثل (حالة معقدة فعلاً) .. (أسوأ انسداد معوى رأيته فى حياتى) ... إلخ .. ثم نتذكر فنخجل من أننا تعاملنا مع المريض كشىء ..

الطفلة قد تفهم العربية .. ولربمـــا كانت غير صماء ، فليس من اللائق أن أتكلم عنها بحرية ..

لكنى بالفعل رأيت مشهدًا بشعًا .. ولا عجب أن أمها جعلت الشعر ينسدل بهذه الطريقة . لكن ألم يفكر أبواها فى وضع عين زجاجية قط ؟

جلست السيدة الفاتنة جوارى ووضعت الطفلة على حجرها ، ثم مدت يدها مصافحة بطريقة عمليـــة تدل على امرأة واثقة من نفسها ، وقالت :

ــ « فاتن الشرقـــاوى .. مـــدرس جامعى ومعـــدة بالبرنامج الثانى .. »

ــ « رفعت إسماعيل .. أستاذ جامعى وكان لى برنامج فى المذياع تم وقفه .. »

هنا اتسعت عيناها كأنها تتذكر :

ــ « ذلك البرنامج الذى ...... أوقفوه ؟ »

ــ « أنا قلت ذلك .. »

لم تعلق وأدركت على الفور أنها تراه سخيفًا ، لكنى تذكرتها على الفور .. إنها شهيرة جدًا فى الأوساط الثقافية القاهرية ،

وتكتب فى كل شىء تقريبًا فى عدة مجلات .. لو سمحت لى بهذا التعبير العـــامى لقلت إنها (فلحوسة) .. لا يمكن أن تقول لها (صباح الخير) من دون أن تلقى خطبة عصماء تطالب فيها بأن نكون أنفسنا ولا نمشى على خطوات الغرب .. لماذا لا نقول ما هو جدير بتراثنا مثل (عمت صباحًا) ؟.. فإذا ذكرتها بأن هذه تحية الجاهلية الأولى ، بدأت تتكلم عن الانغلاق العقلى الذى يحصر التدين فى كلمات ... وهكذا .. لن تخرس أبدًا .. كل كلمة هى موضوع ندوة ثقافية محتملة .

على كل حال كانت جميلة جدًا .. وهذا يغفر لها الكثير لدى النقاد ، بينما يذبحون بأقلامهم أى رجل مثلها أو أكثر موهبة منها .. نساء كثيرات يعتقدن أن ما بلغنه من مكانة يعود لعقلهن الراجح ، والحقيقة أن هذا يعود لسبب فسيولوجى بسيط جدًا : جمالهن. كان رواد الفكر فى مصر يجتمعون عند (مى زيادة) ويتناقشون معها كأنها ند لهم ، وكانت تمازحهم وتتبسط معهم وعندما تتكلم يصمتون ويصغون ، فهل كان السبب الوحيد عقلها وموهبتها ؟.. كان السبب هو جمالها الصارخ ، ويبدو أنهم جميعًا وقعوا فى حبها ، حتى طه حسين نفسه وقع فى حب صوتها .. لكن ما من امرأة تعترف بهذا .. السبب الوحيد هو ذكائى وكفاءتى ..

أخرجتنى من هذه الخواطر بسؤال ثان :

ــ « لماذا استدعوك لقمرة القيادة ؟ »

ــ « حاول طيار لعب دور البطل .. هكذا سقط ميتًا والآخر فى حال خطرة .. »

اتسعت عيناها رعبًا وهتفت :

ــ « إذن من يقود الطائرة الآن ؟ »

ــ « نصف طيار لو أردت الدقة .. لو مات أو فقد الوعى لانتهى أمرنا .. »

قطبت جبينها وفكرت :

ــ « لكن .. هذا خطير .. »

ــ « أحب استنتاجاتك الدقيقة .. »

نظرت فى ساعتها وقالت :

ــ « بقيت ساعتان .. يمكن أن تمرا على خير .. »

ــ « المشكلة وأعقد جزء هى الهبوط .. هذا هو التحدى الحقيقى .. »

ــ « من هؤلاء ؟ »

شرحت لها تصورى عن المجموعة .. كانت تعرف (بادر ماينوف) طبعًا فهم أبناء ذلك العصر والصحف لا تخلو من خبر عنهم. سألتنى عن سبب ذهابى للولايات فحكيت لها ، وسألتها عن السبب فحكت لى أنه لا يوجد سبب .. قالتها وهى تمسح على شعر الطفلة الجالسة على حجرها .. طفلة مسالمة سلبية تمامًا كأنها دمية .. دمية بعين واحدة ..

برغم كل شىء شعرت بسرور وراحة .. المنظر الطبيعى للأطفال هو أن يجلسوا على حجر امرأة .. الأطفال مقتنيات أنثوية جدًا ويمكنك الاطمئنان عليهم مع الأنثى .. أما مع الرجال فأنت قلق دائمًا تشعر بأنهم سيموتون أو يضيعون أو يجرحون أنفسهم ..

سألتها فى فضول :

ــ « عندما غنى جارى الأسكتلندى تلك المقطوعة .. قلت إنك سمعتها .. ما سر هذا الفضول ؟ »

تنهدت وراحت تحكى لى قصتها بالتفصيل .. قصة اللحن وشريط الكاسيت ود. سامى والبرنامج .. إلخ ... أنت سمعت كل هذا لذا دعنى أسمع أنا ولا تصغ معى ..

سألتها :

ــ « وهل تذكرين ذلك اللحن ؟ »

راحت تحاول التفكير .. لها طريقة ساحرة عندما تفكر لابد أنها تخلب لب الجميع سواى .. تنظر لأعلى وتضم شفتيها على شكل حرف O أحمر دقيق .. ثم بدأت تصدر نغمة مكسورة ..

هنا صدرت النغمة محكمة ومتقنة فعلاً ..

لم تكن منها ..

كانت صادرة من الطفلة التى حجرها ، والتى راحت تدندن اللحن بصوت جميل رخيم .. كأنها دمية تتكلم !!

* * *

-10-

نونك أوبدورات

إ تونك كيورات

لودو منتيس آسييم

* * *

بعد قليل فوجئت بعدد من الركاب يترك مقعده ويلتف من حولنا ..

رفعت رأسى فى ذهول لأعد خمسة .. ستة .. سبعة ركاب يقفون حولنا ويصـــغون فى اهتمام .. وصاح ذلك القرصان (بيتر) وهو يلوح بمسدسه :

– « هل جننتم ؟.. ليعد كل لمقعده ! »

وهرع ليفـــرق الواقفين .. لكنى لاحظت أنه ليس جادًا فى التهديد ، بل هو أيضًا يريد أن يصغى .. بالفعـــل وقف وسط الواقفين وأطرق برأسه وراح يصغى ..

للحظة ساد جو من الحميمية .. الجميع سواء حتى القراصنة والرهائن .. كلهم مر بتجربة ما مع هذا اللحن ..

الطفلة على حجـر (فاتن) مستمرة فى الدندنة .. ما زالت متصلبة شبه نائمة .. لكن صوتها قوى عال جداً ..

ومن مكان ما جاء (جيسون) يترنح .. ووقف يصغى بدوره وقد عرف اللحن سريعًا. وبدأ يلاحقه بصوته الغليظ المتقطع ...

صاح القرصان الثانى الذى أطلقت عليه اسم (ماير) فى جنون :

ــ « هذا آخر إنذار لكم ..!.. ليعد كل لمقعده ! »

لكنه قوبل بلا مبالاة تامة كأنه يكلم نفسه .. وللحظة تصلب هو الآخر ..

هنا صحت بأعلى صوتى بالإنجليزية :

ــ « إن الأمر غريب .. هل جميعكم سمع هذه الأغنية ؟ »

هنا تعالت الأصوات أن نعم .. كل واحد يحكى قصته الخاصة مع هذا اللحن. أنا أعرف قصة (فاتن) .. ومن الواضح أننى أعرف قصة (جيسون) .. لكن الغريب أن تكون ذات القصة مرت بالخاطفين كذلك .. ومن هذه الطفلة ؟

كان الأمر قد انتهى على كل حال ، فصاح (بيتر) من جديد :

ــ « أكرر .. ليعد الكل لمقعده .. »

لكنه كان مهزوزًا بالطبع .. كل واحـد كان يفكر فى هذه المصادفة العجيبة ، لكنى أنوى عمل قاعدة منطقية جديدة تقضى بأن سبع مصادفات تعنى أن الأمر ليس مصادفة ..

كان (ماير) من الطراز الغبى المندفع ، لذا كان أول من لجأ إلى الفعل ، فأمسك براكب عربى الملامح وألقاه على الأرض .. وقبل أن نفهم كان يوسعه ركلاً وهو يردد :

ــ « قلت لك أن تعود !.. هه ؟.. قلت لك أن تعود لمقعدك ! »

نهضت لأساعد الرجل المصاب على النهوض وقلت لــ (ماير) بصوت مبحوح لا يخلو من الخوف :

ــ « كف عن هذه الألعاب السخيفة .. لو كنت أنت الأقوى فعلاً فلن تتسلى بضرب أشخاص لا حول لهم ولا قوة .. أنت تعرف وزميلك يعرف أن هناك شيئًا غامضًا يحدث هنا .. شيئًا أقوى منا جميعًا .. »

أمسك بتلابيبى وأعتقد أنه كان موشكًا على ضربى ، لولا أن صاح (بيتر) :

ــ « دعه .. إنه محق .. »

ثم دس مسدسه فى حزامه وابتعد بينما تفرق الواقفون ..

كنت راكعًا جوار الرجل الذى تلقى عدة ضربات .. كان من الواضح أنه مصرى .. رجل وقور له شارب كث وعوينات .. منظر الموظف التقليدى فى الستينات . قمة المجتمع وقتها ..

ساعدته على الجلوس على أحد المقاعد ، وقلت له :

ـ « أرجو أن تتسامح مع وقاحتهم . ليس من الواجب على خاطفى الطائرات أن يكونوا مهذبين وملائكة .. »

تحسس ضلوعه التى لابد أن بعضها تهشم ، وقال :

ـ « عندما سمعت ذلك اللحن لم أعد أعرف ما أفعله .. لقد سمعته فى القاهرة وخلب لبي.. عندما سمعت من يترنم به فى الطائرة طار صوابى ولا أعرف متى نهضت برغم الخطر .. آى »

بحثت فى جيوبى حتى أخرجت بعض أقراص مضاد الالتهابات ، وناولته قرصًا وقلت مطمئنًا له بلطفى المعهود :

ـ « أعتقد أنه كسر ضلعين أو أكثر .. لا مشكلة هنالك سوى الألم ما لم يخترق الضلع المهشم رئتك لتنزف وربما تموت.. "

ـ « شكرًا .. »

قالها وابتلع القرص بلا ماء ، ثم أردف وهو يلهث :

ـ « هذا الشريط عاد به ابنى من الكلية .. وجده فوق سيارته وقرر أن يسمعه .. لكنى سمعته أولاً لأننى خشيت أن تكون من تلك الأغانى التى .. آى .. أنت تعرف الأغانى على غرار (الطشت قال لى) وهذا الهراء .. سمعت الشريط وانبهرت به ، وفى اليوم التالى قررت أن أسافر إلى الولايات المتحدة لأبحث عن بعض المراجع فى رسالة الماجستير التى أعدها .. أنا مهندس .. »

كررت كلامه ببطء شديد :

ـ « تتكلم كأن هذه نتيجة منطقية .. أنت سمعت الشريط ثم قررت أن تذهب للولايات المتحدة .. ما هى العلاقة ؟.. هل شرائط الكاسيت تغرى بزيارة الولايات المتحدة ؟ »

ـ « لا علاقة لكن هذا ما حدث فعلاً .. آى !.. فجأة شعرت بأننى يجب أن ألحق بهذه الطائرة .. »

عدت أفكر من جديد ثم سألته :

ـ « هذه الرحلة بالذات ؟؟؟ ربما كانت أية رحلة تصلح .. »

ـ « لا .. كنت أعرف رقم الرحلة وموعدها والشركة .. لا أعرف السبب .. »

وأراح رأسه للخلف وراح يتنفس بالكثير من العسر .. نهضت من جواره ومشيت فى ممر الطائرة ..

إن للطبيب مزية مهمة هى أنهم يتركونه يتحرك .. كانت الحرب الأهلية مستعرة فى لبنان وقتها والشوارع خطرة على الجميع ، لكن الأطباء كانوا يمشون بالمعطف والسماعة ، وكانت الميليشيات المتحاربة تتركهم يمرون ، بل وتمنحهم حمايتها ..

لهذا السبب لم أتلق طلقة فى رأسى ولم يضربنى أحد عليه .

اتجهت إلى (جيسون) الـــذى جلس يحاول أن يركز فى ذلك الكتاب الذى كان يحمله .. جلست جواره وسألته :

ـ « أنت خير من يعرف ما يحدث هنا .. معظم ركاب هذه الطائرة سمعوا هذا اللحن بشكل ما ، وهكذا شعروا برغبة قوية فى ركوب هذه الطائرة بالذات .. لم يحدث هذا معى . بل أنا الشخص الوحيد الذى ركب هذه الطائرة بكامل إرادته الحرة .. أنت لا تعرفنى لهذا لن أشرح لك السبب ، لكن معارفى يقولون إننى نحس نوعًا .. »

قال فى عناد :

ـ « لا أحد يعرف هذا اللحن سواى .. »

ـ « أنت تدرك الآن أن هذا غير صحيح .. معظم راكبى الطائرة سمعوه ولم ينسوه بسهولة ... حتى القراصنة أنفسهم سمعوه من قبل .. هذا اللحن كان أقرب إلى مزمار الراعى الذى يجمع الغنم .. والأغنام قد ركبت الطائرة .. هل تعرف ما أفكر فيه ؟.... نحن فى طائرة بلا طيار تقريبًا يسيطر عليها أربعة سفاحين .. احتمالات هلاكنا عالية جدًا .. نفس ما حدث لضحايا المصعد الذين وجدوا أنفسهم مسوقين لركوبه قبل أن يسقط .. نفس ما حدث لصديق المضيفة الذى قرر فجأة أن يجرى جراحة لا داعى لها ليموت فيها .. »

هنا ضاقت عينا (جيسون) وهمس :

ـ « أندرو .. رحلة بحرية على يخت .. بلا مبرر .. »

لم أكن أعرف (أندرو) هذا ولم يكن هو بالطبع يعرف قصة صديق المضيفة .. توازن الجهل المحبب.. لابد أن هناك قصة مثيرة تتعلق به لكن ليس الوقت وقتها .. هكذا واصلت كلامى :

ـ « هل فهمت ؟... معنى هذا أن هذه الطائرة لن تصل لمطار (جى أف كى) أبدًا .. لقد ركب كل هؤلاء الطائرة لأنها ستسقط !! »

الجزء الثالث

المندوب

-1-

إيجستاتيم .

بوتستاتيم .

ديزولفيت أوت جلاسيم ..

* * *

قال (جيسون) وهو يرتجف :

ـ « الجوليارد كانوا سحرة أو على الأقل كان بعضهم كذلك .. أو على الأقل أيضًا كان بعضهم يحضر اجتماعات السحرة .. »

كان الاعتقـاد الشائع فى القـرون الوسطى هـو أن السحرة الأوروبيين يلتقون فوق جبال (هيرتس) التى تقع شمال ألمانيا ..

يقال إن السحرة كانوا يستعدون لهذه الاجتماعات الرهيبة التى لم يرها أحد وتكلم . عندما يسدل الظلام عباءته على المرتفعات يظهر السحرة قادمين من كل مكان ..

الاعتقاد الشائع كذلك هـو أن الشيطان نفسه كان يحضر هذه اللقاءات .. لو رأيت غرابًا أو قطًا أسـود أو كلبًا أسـود يبدو كالذئب الشرس ، فهو الشيطان على الأرجح ..

إن خيـــال الفنانين وخيـــال رجـــال الكنيسة قد تكفل باستكمال الصورة ..

مثلاً كان كل ساحر يجلس وإلى جواره شيطان .. يبدأ الحفل بالمأدبة الكبيرة ، وهى ــ بالطبع ــ جثث المجرمين الذين شنقوا وقلوب الرضع .. ثم الخمور .. الكثير منها .. وطبعًا لابد من شرب اللبن الأزرق .. لا يمكن أن تتم هذه الطقوس من دون لبن أزرق ، وهو علامة سحرية مهمة جدًا فى الكتب التى تدرس هذه الأمور ..

يتزايد المرح ويعم الصخب ..

لكن هناك حقيقة واحدة : بعض الجوليارد كانوا يأتون لهذه الاجتماعات ويجلسون وسط هذه الطقوس ، ولا نعرف كيف كانوا يسمحون لهم بذلك .. ربما لأن أشعارهم المفعمة بالهرطقة منحتهم جواز مرور وحصانة ..

المشاعل فى كل صوب ، وهناك جماجم تطل الشموع من عيونها ..

هنا يبدأ إيقاع مدوخ ساحر على الطبول ، فينهض الكل ليرقص .. طبعًا كانت هناك ساحرات وكان هناك انفلات أخلاقى كامل ..

وفى هذا الجو المريض يتبادل السحرة الخبرات .. أى أنه كان يشبه أى مؤتمر علمى من مؤتمرات اليــوم ، لكنه يختلف من حيث درجة الرقى ..

فى هذا الجو عرف الجوليارد كيف ينظمون الشعر ، لتكون الكلمات ذات تأثير سحرى شيطانى .. هل كان كبير الشعراء بين هؤلاء ؟.. الحقيقة أن الأشعار عمل مختلط تشعب بين أكثر من مؤلف ، حتى ذاب تمامًا .. لا يمكنك وأنت تذوق عصير البرتقال أن تتكلم عن أن السكر هنا والبرتقال هنا والماء هنا .. لكن الجزء الــذى أخــاف الجميع تميز بموهبته العالية ، وحسيته الصارخة ، واستهتاره بكل شىء ..

هذه أشعار لا يكتبها سوى من باع نفسه للشيطان ...

* * *

بين الأشـــعار التى وجدهـــا (جيسون) واستعاد لحنها عن طريق المخطوطات ، أغنية تقول باللاتينية العتيقة فى مقطعها الأول السهل نسبيًا :

« عندما تسمع هذه الأغنية ، فاهرع لتلحق بالركب ..

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوة منه ..

« وا حسرتاه !.. لسوف تقضى بظمنك الباخوسى

بعد اليوم لن تطأ قدماك الحانة ..

« لكن الرفاق سيقرعون الكئوس فى ذكراك .. »

معظم كلمات الأغنية كان غامضًا واستعصى عليه ، لكنه استعادها كما هى ، واستعاد لحنها .. إنه ذلك اللحن الذى دندنه لى ..

اللحن الذى سمعه ركاب الطائرة أو معظمهم ..

الآن يتذكر (جيسون) هذه الكلمات وهذا اللحن .. لقد تعامل مع الأمر بخفة طاغية ، ولم ينظر إلى الغول الذى يقف خلف كتفيه يضحك مكشرًا عن أنيابه ..

لم يستعمل هذه المخطوطات على كل حال ، ولم ينشر هذا اللحن. ضاع مع باقى المخطوطات التى اختفت فى ظروف غامضة .. لكن اللحن لم ينس أنه عاد للحياة وقرر أن يظل كذلك .. قرر أن يتحرر وتكون له حياته الخاصة ...

بشكل ما أرسل طرف ما ـ ليس بشريًا على الأرجح ـ مجموعة من الشرائط إلى عدد من الناس .. هكذا تأكد من أنهم قد سمعوا اللحن ...

ـ « لماذا اختار مصر ؟ »

ـ « لم يختر مصر .. هناك رسائل بلغت أشخاصًا فى الولايات المتحدة وإسكتلندا.. الفكرة هنا أن الطائرة المختارة تقلع من مطار القاهرة .. وصلت الرسالة للركاب .. وللأسف وصلت كذلك لمن سمعوها مع الركاب ، من ثم ذهبوا لمصير آخر .. هذا هو تفسيرى الوحيد .. »

ـ « ولماذا هذه الطائرة بالذات ؟ »

ـ « لا أعرف الإجابة ، لكن ذات السؤال كان سيطرح مع أية طائرة أخرى . »

الرسالة واضحة .. إنها تدعو الناس للموت .. الناس الذين لا يفهمون حرفًا مما يقال ، ولا يستطيعون فهم الرسالة ، لكنها قد وصلت وبدأت التأثير .. عليك أن تلحق بالقطار الفلانى .. عليك أن تركب هذه الطائرة .. تجرى هذه الجراحة ..

الرسالة واضحة ووصلت لعدد من الناس : اركبوا هذه الطائرة بالذات .. الرحلة رقم 345 .. لا تتأخروا يا شباب ..

الآن الطائرة مهددة بأكثر من خطر .. ولا يهمنا ما سيحدث ولا احتمالات النجاة ، فنحن نعرف يقينًا أنها ستسقط ..

« بعد اليوم لن تطأ قدماك الحانة ..

« لكن الرفاق سيقرعون الكئوس فى ذكراك .. »

صحيح أننى لا أرتاد الحانات ، وبالتالى لن أشعر بخسارة جمة لمنعى من ذلك ، لكن لدى سببين للخوف : أولاً لا أريد أن تكون نهايتى بطيئة مخيفة أليمة .. إن احتراق الطائرة ببطء ونحن فيها احتمـــال لا بأس به.. ثانيًا : ما ذنب هــؤلاء الأبرياء الذين أعتقد أن عددهم تجاوز المائتين ؟

لابد من طريقة لمنع هذا .. لابد ...

قلت لـــ (جيسون) فى عناد :

ــ « هذه الأغنية لا تقود الناس لمكان سيلقون نهايتهم فيه .. بل هى تقودهم إلى مكان يُقتلون فيه ! »

نظر لى فى غباء وقال :

ــ « ما الفارق ؟ »

ــ « فارق كبير .. لا أحد يعلم الغيب ولا أحد يعلم أين ومتى يموت كل منا .. لكن بوسعه أن يقودك إلى كمين ويدبر قتلك .. لا يمكننى أن أدعوك إلى ركوب مصعد وأتنبأ بأنه سيقع .. لكن بوسعى أن أجعلك تركب المصعد ثم أقطع الحبال التى ترفعه .. »

ــ « وهذا يعنى ؟ »

ــ « يعنى أن هناك مندوبًا شيطانيًا مسئولاً عن تدمير هذه الطائرة .. وهذا المندوب بيننا !.. إنه واحد منا ، مهمته التأكد من أن أحدًا لن ينجو !.. يمكننى بسهولة أن أراهن على أنه ركب المصعد مع من ســقط .. شــارك فى الجراحة لمن مات أثناء الجراحة .. قاد اليخت لمن لم يعد من رحلته البحرية .. وهو الآن هنا .. »

ــ « ومن هو ؟ »

ــ « هذا هو السؤال الذى يساوى حياتنا ! »

* * *

-2-

سور سالوتيس..

إ فيرتوتيس

ميهى نون كونتراريا ..

* * *

نهضت عائدًا إلى حيث كنت أجلس قرب قمرة القيادة ، وحيث تركت تلك الكاتبة رائعة الجمال (فاتن) والطفلة على حجرها .. كانت هناك فعلاً تتبادل حديثًا مع الرجل على الجانب الآخر من الممر : المهندس المصرى الذى كاد يهلك . كانت تثرثر وقد نسيت الظروف المحيطة بها وبدأت تتصرف كأن هذه ندوة أخرى ، فباغتتها بالسؤال :

ـ « أين الطفلة ؟ »

نظرت لى فى حيرة وتلفتت حولها :

ـ « أليست معك ؟ »

ـ « إذن ما كنت لأسألك .. هذا واضح .. »

تنهدتُ ورحت أنظر من حولى ..

واحد من هؤلاء الجالسين ليس كما يبدو .. أعرف هذا يقينًا .. لا يوجد منطق آخر .. لكن من هو؟ ..

قد يبدو السؤال سخيفًا نوعًا ، بينما هناك أربعة رجال مسلحين يسيطرون على الطائرة الآن .. لكن قلبى يحدثنى أنهم مثلنا تمامًا ، وأنهم وجدوا أنفسهم مرغمين على خطف هذه الطائرة بالذات .. غالبًا كانت خطتهم تتركز على طائرة أخرى .. مهمتهم أن ينفذوا مطالبهم لا أن يموتوا .. إذن من مصلحتهم أن يظلوا أحياء مثلنا بالضبط ، ولن يضحوا بأى راكب الآن فهم بحاجة لنا للتفاوض إلى أن تنتصر (الكومنتيرن)(*) ..

من هو ؟... هل الطفلة هى من أريد ؟.. احتمال وارد جدًا ومغر جدًا مع ظهورها غير المفهوم واختفائها غير المبرر ... لكن ..

صاح الفتى طويل الشعر ذو الشارب الكث (بيتر) :

ـ « أنت أيها الطبيب .. اجلس حيث أنت .. »

نظرت له فى حيرة ، ثم جلست جوار (فاتن) .. وفى اللحظة ذاتها ظهرت المضيفة الشمطاء ومعها مضيفتان أخريان وهى تدفع عربة عليها مشروبات.. وكان ذلك الفتى العصبى (ماير) يراقبهن كالصقر .. فى كل مرة أكتشف وجوهًا جديدة من الطاقم .. واضح أن عدد أفراد الطاقم لن يقل عن سبعة ..

(*) الشيوعية الدولية .

صاح (بيتر) فى الركاب وهو يتناول زجاجة ماء من على العربة :

ــ « اطلبوا ما تريدون من مشروبات .. حاولوا أن تهدءوا لأن العصبية لها ثمن غال جدًا .. إن يومكم ما زال طويلاً وشاقًا .. »

شعرت برغم كل شىء نوعًا من التصنع الصبيانى فى تصرفاته .. هذا الفتى سعيد بما يقوم به ، وهو يشعر أنه بطل أحد الأفلام التى يراها .. يقول لنفسه : لكم أنا وسيم وخطير .. لو أن حبيبتى رأتنى !!

هكذا بالفعل حاول الجميع الحصول على لحظات انتعاش . بالنسبة لى كان خبر الحصول على بعض القهوة عظيمًا جدًا .. طلبت (فاتن) بعض القهوة بدورها .. ثم سألتنى :

ــ « هل تعتقد أننا سننجو ؟ »

ــ « بالتأكيد ! »

قلتها وأنا أعرف أنه ما من شىء أبعد عن الحقيقة من هذا .. كلنا فى خطر داهم حتى الخاطفين أنفسهم .. دعك من طبيعتى المتشائمة الدائمة حيث لا أعتقد أن أحدًا ينجو فى أى مكان ، سواء كان هناك خاطفون أم لا ، وسواء كنا فى طائرة أم لا ..

بدأت الطائرة تهتز .. ورأيت الرجل الذى يهددنا موشكًا على السقوط ، أما المضيفة فقد تعثرت وكادت تنقلب على وجهها .. ماذا يحدث ؟.. مطب هوائى .. لقد مررنا بالكثير منها ، وأرجو أن يكون الطيار الذى تلقى علقة لا بأس بها قادرًا على مواجهتها ..

اهتزاز .. اهتزاز آخر ..

فعلاً ما زالت الطائرة شيئًا مخيفًا .. يمكن للمرء أن يواجه كل المشاكل بشرط أن تكون قدماه على الأرض .. لابد من أرض تقع عليها وتلتقط أنفاسك ثم تنهض ثانية .. لكن هنا لا أرض .. لك ذات خيارات الريشة التى تقذفها الريح .. لكن الريشة لن تتهشم لو سقطت .. لا وزن لك ولا أهمية وسط قوى الطبيعة العاتية التى قضت على الديناصورات وحفرت المحيطات وجعدت سطح الأرض لتتكون الجبال وأبادت الجيوش ... لا شىء يفصلك عن النهاية سوى خيط واه اسمه براعة الطيار ..

هنا سمعت تلك المضيفة الشمطاء التى تدعى (بليندا) تصرخ :

ــ « دكتور ..!.. هلا جئت هنا ؟ »

يا لها من رحلة !

والأسوأ أنك كطبيب سيكون عليك أن توجد فى كل مكان .. سوف تطلب منى استئصال الزائدة الدودية لهذه الطفلة أو ذاك الرجل طبعًا.. نظرت للقرصان القريب منى فلم يعلق .. هكذا نهضت ..

كانت المضـيفة تقـف على باب الحمام وهى تحاول فتحه ، والتفتت لى عندما بلغتها لتقول :

ـ « هناك راكب دخل الحمام منذ دقائق .. لقد سمحوا له بالدخول أخيرًا بعد ما طلب ذلك ثلاث مرات ، لكنه تأخر بالداخل كثيرًا .. الآن اسمعه يعوى كأن هناك من يمزقه .. »

أصخت السمع .. بالفعل هناك صوت عواء من داخل الحمام .. لابد أنه تحول إلى مذءوب وكان يريد الانفراد بنفسه .. هذا حقه الطبيعى ...

قلت لها أن تفتح ، وكان أحد القراصنة ـ المدعو (ماير) ـ قد لحق بنا ، فرفع المسدس وصوبه إلى الباب بحركة احترافية تدل على أنه يجيد التعامل بالسلاح النارى فعلاً ..

انفتح الباب .. وكان أول ما أثار رعبى هـو أن كل الجدران ملطخة بالـدم ..

المكان ضيق طبعًا .. لكن ذلك الفتى الذى شعرت بأنه أفاق ملقى على الأرض ..

إنه ما زال حيًا ولا أعرف كيف ..

لكنى قدرت أنه لن يعيش أكثر من خمس دقائق بعد هذا ...

* * *

-3-

إت إفكتوس

إت دفكتوس

سمبر إن أنجاريا

* * *

جررناه خارج الحمام الضيق ، وسط صراخ الركاب فى الخلفية الذين شعروا بأن هناك كارثة .. والقرصان الذى كان يهددنا انفلتت أعصابه تمامًا .. تعلمت هذا منذ زمن أنه حتى القتلة المحترفين يفقدون رباطة جأشهم عندما يرون ما اعتاد الأطباء أن يروه ..

ركعت جواره وسألته فى لهفة :

ـ « ما الذى فعل بك هذا ؟ »

سمع العامية المصرية ، فمد يده يعتصر سترتى كأنه لا يريد أن أتخلى عنه ..

نظر لى بعينين متسعتين رعبًا :

ـ « كامل ! »

ـ « كامل فعل هذا بك ؟ »

ـ « كامل .. الله يخرب بيته.. هو الذى طلب منى تهريب هذه العلبة .. »

ـ « ماذا كان فيها ؟.. هل تسمعنى ؟.. من هو كامل ؟ »

لم يكن هناك داع للإلحاح ، لأن الرجل كان ثرثارًا .. لقد حكى لى الكثير جدًا عن نفسه وعن حياته والمهمة التى كلف بها . كل هذا قاله فى خمس دقائق وهو يرتجف ..

اعتدت أن يتكلم المحتضرين ببخل شديد وأن يعطوا رموزًا ، لكنه حكى لى كل شىء فعلاً فيما عدا شيئًا واحدًا : ما الذى فعل بك هذا ؟

كلما سألته راح يبكى ويردد :

ـ « كامل .. الله يخرب بيتك .. النفوس قد تغيرت والناس لم تعد كما كانت .. »

ـ « ما الذى كان فى العلبة ؟ »

ـ « النفوس قد تغيرت ... »

هنا نفد صبر (ماير) هذا فشدنى من كتفى بغلظة وهتف :

ـ « ماذا يقول ؟.. ما الذى فعل به هذا ؟ »

نظرت فى عينه بثبات وقلت بالإنجليزية طبعًا :

ــ « إنه يحتضر.. يقول كلامًا غير مترابط .. هل تعتقد أننى لم أسأله عشر مرات ؟ »

أطلق ســبة ألمانية ــ على الأرجح ــ وخطا فوق جسد الفتى ليدخل الحمام الملطخ بالدم يفتشه بعناية ..

كان (محمود) ــ كما عرفت اســمه ــ عارى الجذع .. لقد نزع قميصه داخل الحمام ، وحاول أن ينزع الشرائط التى تثبت تلك العلبة لصدره .. أما ما حدث بعد ذلك ، فلا أفهمه .. هناك تمزق هائل فى الجهة اليمنى .. الضلوع مهشمة والرئة ظاهرة .. كأن دبًا قضم صدره فى هذا الموضع ..

شىء ما مخيف وشرس غادر اللفافة .. لكن أين هو ؟.. هل توجد مخابئ فى الحمام ؟

قال محمود وهو يبلل شفتيه بلسانه :

ــ « النفوس قد تغيرت .. لم يعد هناك أولاد ناس .. هل .. هل عندكم ماء ؟ »

الجرح بليغ فعلاً ولا أعرف من أين أبدأ .. لا يوجد شريان أضغط عليــه أو نسيج أضمه .. كمــا لا توجد محاليل أحقنها لتحسين حالة الصدمة هذه .. إذن هو الماء فعلاً ...

نظرت للمضيفة وقلت : (ووتر) ، فنظرت لى بدورها بمعنى أن هذا قد يعجل بموته ، فصحت بعصبية :

ــ « هل ترين أن بعض الماء سيؤذيه حقًا أكثر مما هو فيه ؟.. إننى إذن أهنئك على تفاؤلك .. لم يعد هناك جدوى من تعذيب هذا البائس .. »

ناولتنى زجاجة ماء فسكبت قطرات على شفتى الفتى ..

الأفاق تعس الحظ الذى دمر نفسه ودمر كل من قابله كما فهمت من قصته.. نهاية مؤسية فعلاً لكنها عادلة نوعًا ..

«عندما تسمع هذه الأغنية ، فاهرع لتلحق بالركب ..

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته .. »

بالفعل قبل أن يكمل الجرعة كان قد مات ..

نهضت مترنحًا .. وطلبت مــن (مايــر) أن يساعدنى كى نوارى الجثة فى نهاية الطائرة ..

لقد فهمت قصة (محمود) هذا وعرفت ما حدث تقريبًا .. لكن هناك ملاحظة مهمة .. يبدو لى أنه الشخص الوحيد الذى لم

يســـمع اللحن .. إذن (كامل) هذا هو الذى سمعه .. (كامل) كلفه بأن يأخذ معه اللفافة وحدد له هذه الطائرة بالذات ...

هل يعنى هذا شيئًا ؟.. من هو (كامل) ؟..

لا أعرف من هو لكنى أعتقد أن محتوى اللفافة كان ....

كان المندوب نفسه !! وهــو الآن حــر فى الطائرة فلا يعلم إلا الله أين هو ...

سألنى (ماير) وهو يدس المسدس فى نطاقه :

ــ « من الذى .. بل ما الذى صنع به هذا ؟ »

ــ « مات قبل أن يقول .. ثق أننى أشد فضولاً منك .. »

تركنى واندفع ركضًا إلى قمرة القيادة ليخبر (مولر) بهذه التطورات .. مولر كما هو واضح هو قائد المجموعة ولابد أن يعرف كل شىء ....

مشيت عائدًا إلى حيث كانت (فاتن) تنظر لى فى فضول ، فجلست جوارها وتنهدت .. هــذه المــرة قررت أن أمرح قليلاً فنزعت حذائى .. أنا أستحق هذه المتعة ..

ــ « نحن فى خطر .. أليس كذلك ؟ »

قالتها دون أن تنظر لى ، فقلت :

ــ « بلى .. سنموت على الأرجح .. كل شىء يدل على ذلك.. كنت أكذب عليك .. »

لم تندهش أو تقل شيئًا .. فقط تنهدت ونظرت لسقف الطائرة وقالت :

ــ « شعور قاس أن أموت الآن .. كنت أشعر أن حياتى تصعد منحنى عاليًا مقتربة من الذروة .. الذروة التى لا أعرف ما هى ، لكن عمل حياتى الأهم والذى سيذكرنى الناس به لم يتم بعد .. لا أعرف ما هو .. ربما هو ديوان شعر أو كتاب .. لكن أوانه لم يحن بعد .. لست مستعدة للموت الآن .. »

قلت لها :

ــ « أعرف شعورك .. كل شىء فى الرواية يقترب من الذروة وفجأة اكتشفت أن باقى الصفحات ممزقة .. لقد انتهت الرواية عند هذا الحد .. »

قالت دون أن تنظر لى :

ــ « هناك أشياء أنا نادمة عليها .. مثلاً كان يجب أن أتزوج ويصير لى بيت ... هل أنت متزوج ؟ »

ـ « لا .. وأرجو ألا يكون هذا عرضًا للزواج .. »

نظرت لى طويلاً ثم اهتزت بالضحك :

ـ « لقـد تقدم لى رجال أجمل من (أبوللو) وأغنى من (قارون) وأقوى من (هرقل) .. هل تتصور أن أقبل بمن هو مثلك بعد هذا كله ؟. على فكرة .. أنا سمعت حلقة من برنامجك .. إنه سخيف وتافه ويدعم الخرافة ... لم أرد قول هذا لكن بما أن هذه لحظة الحقيقة .... »

ـ « فهمت .. واسمحى لى باعتراف مماثل : بالنسبة لى أنت متصنعة جوفاء تقولين كلامًا كبيرًا لا معنى له .. وتتظاهرين بأن الرجال معجبون بموهبتك فقط ، بينما هم لا يرون سوى جمالك.. ولو قابلوا بائعة طماطم أكثر فتنة منك لنسوا كل شىء عنك.. هذه قلة ذوق منى لكنها لحظة الحقيقة كما تقولين .. »

نظرت لى فى تنمر .. حتى اليوم لم ألق الأنثى التى تلعب بروح رياضية وتقبل أن تطبق ذات القواعد عليها ، لكنها لحسن الحظ وجدت أنها أكثر تعبًا واكتئابًا من أن تفعل أى شىء .. هكذا صمتت ..

سألتنى بنفس الطريقة المحايدة :

ـ « هل الطيار على ما يرام ؟ »

ـ « الطائرة لم تسقط بعد .. هذه أنباء طيبة .. »

هنا فوجئت بمن يدنو منى ليضع يده على كتفى .. ذلك الزوج الفرنسى الذى تبلغ زوجته ضعف حجمه .. جلس على طرف المقعد المجاور حتى لا يظل واقفًا..

مد يده مصافحًا وقال بإنجليزية كسيحة :

ـ « موريس جوشار .. طيار .. »

ـ « رفعت إسماعيل .. طبيب .. »

نظر حوله ثم سألنى :

ـ « هل الطيار بخير ؟ »

ـ « ليس تمامًا .. لهذا استدعونى .. نحن نطير بنصف طيار .. »

ـ « هذه الطائرة هى بوينج من طراز DC-10-30 من إنتاج دوجلاس كالعادة .. هذا هو الطراز الأكثر شيوعًا ، وهى تمتاز بثلاثة أطقم من سرعات الهبوط .. إنها فى الجو منذ عام 1972 .. أعرف كيف أقودها .. لن تكون مشكلة بالنسبة لى .. »

نظرت له مفكرًا .. على الأرجح هو يعرف ما يتكلم عنه .. لا يبدو مجنونًا .. لكن لابد من تأجيل هذه الخطوة .. لا أريد المجازفة به الآن .. إن هؤلاء الخاطفين مجانين ولا يمكن التنبؤ بأفعالهم ..

ــ « لنبق هذا سرًا إلى أن أعرف ما حدث للطيار .. »

ثم دار بيننا حديث سريع فعرفت منه قصته مع الشريط .. وهى قصة صارت مكررة وحدثت للجميع تقريبًا ... فقط لا نعرف من يرسل هذه الشرائط .. لكن الحقيقة تتضح كل دقيقة ، وهى أن هذه الأغنية لا يمكن مقاومتها ..

دسست قدمى فى حذائى من جديد بصعوبة بالغة ، لأن قدمى تورمتا ، ونهضت ماشيًا نحو قمرة القيادة .. استوقفنى (بيتر) هذا سائلاً عما أريد فقلت له :

ــ « أريد أن أعرف هل مات الطيار أم لا .. »

دق باب القمرة ، فانفتح الباب وظهر وجه ذلك الفتى قاسى الملامح .. أعتقد أننى أطلقت عليه اسم (هانز) ... نظر لى ثم سمح بالدخول .. وقال لصاحبه بالألمانية :

ــ « إنهم ينتظروننا فى مطار (جى. أف كى) .. يعرفون كل شىء الآن .. »

طبعًا أنا لا أتكلم الألمانية لكنى أعرف بضع كلمات لم يستخدم خارج نطاقها .. جملة فيها (فارت) و(جى أف كى) و(فايس) و(ألّيس) و(يتست) ليست لها معان كثيرة أخرى ..

رائحة القمرة لا تطاق .. مزيج من القيء والدم .. وفهمت أن الطيار أفرغ معدته عدة مرات .. هذه علامة سيئة ومقلقة .. كانت هناك جثتان فى الركن .. جثة الطيار الآخر وجثة المضيفة .. متى قتلوها وكيف ؟.. هل حاولت مقاومتهم ؟.. على كل حال واضح أنهم لم يستعملوا السلاح النارى خوفًا من تغيرات الضغط ..

كان الطيار جالسًا فى مقعد القيادة وعلى المقعد الآخر جلس (مولر) .. وكان الطيار قد ربط رأسه ليس كضمادة ولكن على سبيل (التعصيب) فلابد أن الصداع سيفجر رأسه ..

دنوت منه ووضعت يدى لأقيس نبضه .. بطىء جدًّا .. علامة سيئة أخرى ..

ــ « هل أنت بخير ؟ »

ــ « لا .. »

قالها ببساطة ونوع من الفخر ، ومد يدًا ترتجف يعالج شيئًا ما فى لوحة القيادة ، بينما كان الطيار الآخـــر الشاب المذعور

يتكلم فى الميكروفون بتلك الطريقة السريعة مستحيلة الفهم التى يسمونها Technish ..

الأمور سيئة فعلاً ... لن ينجح هذا الفتى سوى فى تحويل الطائرة إلى فتات مشتعل .. أعتقد أن الوقت قد حان لأقترح عليهم أن يتركوا الفرنسى يستكمل القيادة ..

سألنى مولر وهو يلتهم شطيرة يبدو أن المضيفات جننه بها :

ـ « ماذا حدث لذلك الفتى العربى فى الحمام يا دكتور ؟ »

ـ « مزقه شىء كالدببة .. »

ـ « وما هى احتمالات أن يقابل دبًا فى حمام طائرة ؟ »

تنهدت وقلت :

ـ « قل لى أى شىء طبيعى أو معتاد فى هذه الرحلة .. لقد كان سيئ الحظ ، لكننا أسوأ حظًا منه .. أسوأ حظًا لأن الشىء الذى فعل هذا موجود معنا فى الطائرة .. »

وهنا سقط الطيار فاقدًا وعيه على الأرض ...

* * *

-4-

هاك إن هوراه

سينى موراه ..

كوردى بالسام تانجيتى ..

* * *

فرغ المهندس (عبد الرازق) من شرب كوب الشاى ، ثم أعاد تفحص الشريط الـذى وصله بالبريد .. مع الشريط مذكرة تقول إنه خاص بالدكتور (سامى الحفناوى) الـذى فقده عالم الموسيقا فى حادث المصعد اللعين ذلك ..

لم يكن هذا شريط كاسيت ، بل كان مسجلاً على بكرة ، وقد حاول الاتصال بالدكتورة (فاتن) ليأخذ رأيها ، فعرف أنها فى إجازة قصيرة بالولايات المتحدة .

كان المعد الشاب (فِـادى) جالسًا فى ذات الغرفة ينتهى من إفطاره ..

سأله وهو يرفع الشريط فى يده :

ـ « هل عندك فكرة عن هذا الموضوع ؟ »

ـ « لابد من سماعه أولاً .. »

ونهض المهندس ليثبت البكرة فى موضعها على الجهاز ، ثم قام بتشغيله .. هنا تصلب ..

(فادى) كذلك تصلب .. وفتح فمه دون أن يدرى فتساقط الطعام من ركنيه .. لقد كان هذا أروع شىء سمعه منذ أعوام .. اللحن يرفعه ويطويه إلى شطآن نائية لم يرها من قبل .. شطآن تغريك بأن تغرق بسفنك هناك وتموت ...

ـ « هذا .. هذا لحن غير بشرى .. »

ـ « لا يوصف بكلمات .. »

ـ « هل تفهم ما يقولون ؟ »

ـ « يتكلمون بلغة غريبة .. غالبًا هى اللاتينية .. »

ـ « من كتب هذا ؟.. من هذا العبقرى ؟ »

طلب منه (فادى) أن يغلق الجهاز ، فقد امتلأت روحه بالنشوة كالزجاجة حتى أوشكت على أن تفيض وتسيل وتغرق كل شىء ...

كانت عيناه دامعتين ، وقال وهو يرتجف :

ـ « سوف أقوم أنا بتقديم هذا الشريط .. »

ـ « لكننا لا نملك أية معلومات عن ظروف تأليفه .. التاريخ .. اسم المؤلف .. اسم المقطوعة .. »

ـ « سوف نقدم المعزوفة .. ونقول إننا سنكتفى بروعتها .. لن نقدم أية معلومات لأن الموسيقا هى المعلومة نفسها ... هناك طرق للعب بالألفاظ لا تنتهى .. »

ساد الصمت ، ثم نظر المهندس لساعته ..

البرنامج سيذاع غـدًا .. أما الآن فهو لسبب ما يرغب فى السفر إلى الإسكندرية بعد انتهاء ساعات العمل.. هل يوجد سبب معين ؟.. لا يعرف .. لكنه يريد أن يكون هناك وأن يرى البحر .. لربما ينتهز الفرصة فيمر على ابن أخيه المتزوج حديثًا ..

لا يمكن حجز تذكرة قطار الآن .. إذن لا حل سوى (البيجو) .. نعم .. (البيجو) ..

* * *

فرغ الأستاذ (عدنان) من السعال .. ثم راح يتأمل فرقة كورال قصر الثقافة الواقفة أمامه ..

وجوه كالحة فقيرة فعلاً .. لا ذرة جمال فى النساء البدينات اللاتى أرهقتهن الحياة ، ولا ذرة إلهام فى الرجال الذين يبدون

كموظفين فى إدارة حكومية متداعية. لكنه استطاع أن يستخرج خير ما فيها من ذهب .. وعندما تسمع صوت غنائهم يخيل لك أنهم الكورال الملكى أو إحدى فرق فيينا ..

كانوا على وشك البدء فى غناء طقطوقة سيد درويش تلك ، لكنه قال وهو يتنحنح :

ـ « لندع هذا جانبًا الآن.. هناك نشيد أريد أن تتدربوا عليه .. »

سأله أحدهم .. أكثرهم ذكاء :

ـ « لسيد درويش أيضًا ؟ »

ـ « بل هو نشيد غربى .. باللاتينية ! »

تبادلوا النظرات وضحك بعضهم ضحكات بلهاء ، فضرب بالعصا على حامل النوتة وقال :

ـ « ليس هذا مستحيلاً .. لقد قمت بعمل عدة نسخ من النص وبحروف عربية كبيرة واضحة .. ستقرءون منها وأنتم تنشدون .. الفرقة كذلك تلقت النوتة الموسيقية وسوف يبدأ التدريب عليها .. »

قال فتى آخر :

ـ « هل تتوقع يا سيدى أن نحفظ هذا ونجرى عليه بروفات ، والحفل بعد أسبوع ؟ »

ـ « أتوقع طبعًا وإلا لما طلبت ذلك .. »

ـ « نحن غير مدربين على غناء الأعمال الغربية .. »

ـ « هذه مشكلتى أنا .. ما عليك إلا التنفيذ .. »

تبادلوا النظرات .. كانوا يعرفون أنه قادر على عمل المستحيل ، لكن ليس إلى هذا الحد .. وما هى هذه الأغنية ؟.. وما أهميتها ؟.. المحافظ سوف يكون موجودًا فى الحفل ، وهو بالطبع يفضل سماع سيد درويش ...

لكن الأستاذ (عدنان) قال فى إصرار :

ـ « سوف نعود لسيد درويش .. لكن هذا النشيد أولاً.. لقد قلت إننا سنجيده وهذا ما سوف يحدث .. »

ثم ضرب على حامل النوتة من جديد وهتف :

ـ « سكوووووت ! »

* * *

الشريط كان ضمن الشرائط الجديدة التى جاءت اليوم . أحضرها (ماهر) كعادته يوم الاثنين ، ومعظمها أغان لفرق جديدة مثل (المصريين) و(الأصدقاء) و(آبا) و(بونى أم) .. لكن هذا الشريط ؟... لا توجد علامة للشركة المنتجة ولا أية

بيانات .. فقط علبة سوداء أنيقة لامعة وكتابة بحروف لاتينية مستحيلة القراءة لأنها مزخرفة أكثر من اللازم ..

(ماهر) ليس هنا .. سيتصل به فيما بعد ليفهم سر هذا الشريط .. لكن ليسمعه أولاً ...

كان البدراوى حذرًا .. ذات مرة وقع فى مقلب محرج ، عندما وصله شريط مجهول كهذا فشغله ، وكانت السماعات مفتوحة على آخرها لينبعث من المحل المحترم صوت تأوهات مشينة للمطربة الأمريكية (دونا سمر) التى اشتهرت بهذا النوع من الغناء .. أغلق الجهاز لكن بعد ما احتشد ذباب الشارع كله أمام المحل وانطلقت التعليقات الساخرة ..

لهذا كان حذرًا ففصل السماعات العملاقة ، وخفض الصوت ثم دس الشريط فى الجهاز وأصغى قليلاً ...

يا للهول !.. ما هذا ؟

إن شعر ساعديه ينتصب وقشعريرة هائلة تسرى فى جسده من الرأس حتى أصابع القدمين .. كـــان البدراوى قد سمع كل شىء ولم يعد سريع التأثر .. بل إن الغناء لم يعد يؤثر فيه على الإطلاق ، كما أن الكبابجى لا يشتهى اللحم المشوى بتاتًا ..

لكن .. هذا اللحن !!.. إنه لا يصدق .. لا يوصف .. من أين تأتى هذه الأصوات التى تنشد ؟.. من كتب هذا اللحن الغريب ؟

ولم يدر كيف أعاد توصيل السماعات العملاقة بالكاسيت ورفع الصوت ..

ومن المحل الذى يحمل اسم (كاسيت البدراوى) دوى النشيد الرهيب يرج الشارع رجًا .. وفى هذه المرة احتشد الناس لا ليسخروا أو يتلامزوا ولكن ليسمعوا ...

ولم يصدق أحدهم أذنيه ....

* * *

-5-

كود بير سورتيم

ستيرنيت فورتيم

ميكوم أومنيس بلانجيتيه

* * *

قال الفرنسى (جوشار) وهو يمسك بعصا القيادة :

ــ « أعتقد أننى قادر على السيطرة عليها .. »

ثم راح يمرر أنامله على العدادات والمؤشرات .. عملية معقدة جدًا .. لهذا أدعو الله أن يكون عبقريًا ...

كان الطيار الآن قد صار ممددًا على الأرض جوار جثة الطيار الثانى والمضيفة ، لكنه كان حيًا على الأقل .. كان يتنفس وإن دخل فى غيبوبة لا بأس بها .. لم يكن بوسعى سوى أن أبلل منديلاً بالماء البارد أمسح به وجهه ...

كان (مولر) يراقب الفرنسى فى توجس وارتياب ، لكنه بالطبع مطالب بأن يثق به .. من دونه نحـــن هالكون لا محالة وقد تحولت المهمة إلى عملية انتحارية لا شك فيها ..

كان (مولر) أكثر تفاهمًا وقابلية لفهم الدعابة ، لذا قلت له همسًا :

ــ « أرجو أن تكفوا عن ولعكم بقتل الطيارين أو ضربهم .. لا يوجد شىء يضمن أن هناك طيارًا آخر على متن هذه الطائرة . »

خيب أملى ولم يفهم الدعابة ، وقال فى جدية :

ــ « احتمال صعب فعلاً ... يجب الحفاظ على سلامة هذا الفرنسى .. »

قال (جوشار) وهو يغلق زرًا ما فى سقف القمرة ومتناول يده :

ــ « نحن نقترب .. أرجو أن تبلغهم بإحداثياتنا .. »

هنا ارتجت الطائرة كلها بفعل مطب هوائى عنيف ...

إنه سائق سيئ لا يتفادى المطبات كما يجب .. هذا واضح ..

هنا نظر لى (هانز) بوجهه القاسى المنـــذر بالذبح ، وقال وهو يرفع مسدسه :

ــ « هل تريد شيئًا هنا ؟.. عد لمقعدك .. »

ــ « سوف أفعل .. حسبت أننى قد أكون ذا عون لكم .. »

ـ « لا يوجد ما تفعله .. منذ بداية الرحلة وأنت لا تستطيع عمل أى شىء سوى إبداء الرعب .. لا تفسيرات .. لا علاج .. أنت مثلنا أو أكثر جهلاً ... »

طبعًا هى إهــانة ، لكن لا تطالب بالمعجزات طبيبًا ليس معه جهاز ضغط ولا سماعة ولا محقن ولا تاريخ حالة ، ولا جهاز محلول ولا أدوية .. ولا تطالب بالمعجزات طبيبًا باطنيًا يرى أمامه رجلاً تمزق صدره تمامًا حتى ظهرت الرئة ..

هززت رأسى واستدرت خارجًا فسمعت (هانز) يقول لصاحبه بالإنجليزية كى أسمع :

ـ « لو بدأت المفاوضات وحاولوا خداعنا ، فلسوف يكون هذا ضحيتى الأولى ! »

قال (مولر) ضاحكًا :

ـ « لا تقتل الطبيب .. قد تحتاج له فيما بعد .. دعك من أنه مصرى .. أى إنه فى صفوف الضحايا مثلنا وليس فى صفوف الجلادين .. »

مشيت بين المقاعد وأنا أختلس النظر للأمريكيين الجالسين متوترين .. لا يوجد شك فى جنسية أول ضحية ..

هنا شعرت بيد قوية تعتصر ساعدى .. نظرت لصاحب اليد فوجدته هو لا هى .. الزوجة الفرنسية تنظر لى بعينين دامعتين وتقول :

ـ « كيف حاله ؟.. لا تدعهم يؤذونه .. إنهم سفاحون .. »

ابتسمت لها مطمئنًا وقلت :

ـ « هو بخير وسيظل كذلك لأنه أملهم الوحيد فى الهبوط على الأرض .. لن يكرروا الخطأ مرتين .. »

وحررت يدى برفق وواصلت المشى ، فوجدت (جيسون مكالستر) جالسًا فى ذات المكان يحاول أن يقرأ .. طبعًا هذا مستحيل .. إن ما يقرؤه فى الكتاب هو هواجسه وكوابيسه الخاصة ..

جلست جواره فنظر لى متسائلاً .. ثم قال :

ـ « هل عرفته ؟ »

ـ « من ؟ »

ـ « المندوب .. »

ـ « لا .. لكن هناك علامات كثيرة تقول إنه كان حبيس تلك العلبة التى مزقت صدر الفتى .. »

ـ « أى فتى ؟ »

واضح أنه لا يسمع الأخبار على الإطلاق ، لذا حكيت له كل شىء .. كانت عيناه تتسعان .. وفى النهاية همس شيئًا باللاتينية ، فسألته عن معناه .. قال :

ــ « الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوة منه ..

إن نظريتك صحيحة وتثبت نفسها فى كل لحظة .. »

قلت فى ضيق :

ــ « ليس تمامًا .. مثلاً لماذا لم يتلق (كارل أورف) هذه الدعوة للموت ؟ »

ابتسم فى مرارة وقال :

ــ « من الواضح أن هذه اللعنة تحمى من ينشرونها .. تبقيهم أحياء إلى أن ينتهوا من تجميع اللحن ويعلموه لآخرين .. ولربما كان السبب هو نوع من المناعة اكتسبها طباخ السم .. »

وفجأة نظر جوارى وغمغم :

ــ « رباه !.. متى جاءت ؟ »

نظرت باتجاه عينيه فوجدت تلك الطفلة الجميلة المخيفة ، التى يغطى الشعر نصف وجهها وتنظر لنا فى ثبات بالعين الأخرى الناعسة ..

ــ « لا عليك .. أعتقد أنها جزء من اللعنة .. ثمة احتمال ممتاز أن تكون هى المندوب الذى يتأكد من نهايتنا .. »

وجذبتها من يدها فى شىء من العنف فأجلستها بيننا ، ونظرت فى عينيها وسألتها :

ــ « من أنت ؟ »

لكنها لم ترد كالعادة .. ظلت ترمقنى فى ثبات ... لكنى أعرف أنها ليست خرساء بعد ما غنت الأغنية بتلك البراعة .. الأطفال الذين يغنون باللاتينية القديمة مخيفون دائمًا ، وأنت تعرف القاعدة القديمة التى تقضى بقتل كل طفل يتكلم اللاتينية .. بل قتل كل شخص يتكلم اللاتينية بطلاقة ما لم يكن قسًا كاثوليكيًا ..!

ــ « ما اسمك ؟.. كومون تابل تى ؟.. فاز إست إيرى نامى ؟.. كومى تى كيامى ؟ »

وهززتها بعنف أكثر .. وكررت السؤال بالإنجليزية والعربية والفرنسية والألمانية و .... هنـــا انفرجت شفتاها وبصوت لم أصدق أننى أسمعه همست :

ــ « شارون ! »

ثم عادت للصمت .. هنا هتف (جيسون) كمن اكتشف شيئًا مهمًا :

ــ « لكن .. هذا الاسم .. إنه ... »

فجأة رأيتها تنظر إلى مؤخرة الطائرة وشاعت على وجهها ابتسامة قاسية ..

نظرت للخلف .. هنا رأيت شيئًا مخيفًا ..

* * *

-6-

فيريس دولشيس إن تمبور

فلونتى ستات ساب أربور

جوليانا كوم سورور

دولشيس آمور !

* * *

رأيت الشىء يبدأ من خلفية الطائرة ...

رأيته يتمدد ..

يزحف ..

بسرعة يمكنك أن تتابعها .. لكنه كذلك سريع حقًا ...

هناك فى خلفية الطائرة رأيت المضيفة الشمطاء تسقط على الأرض كلوح من الخشب .. ثم سقط راكبان على جانبى الممر .. يسقطون كأنهم ينامون ...

انتقل المشهد مقعدًا للأمام وسقطت تلك الراكبة وطفلتها .. ثم سقط الجالسون على اليمين ..

هتف (جيسون) فى رعب :

ـ « غاز سام ! »

ـ « أو منوم !.. يبدون لى نائمين لا موتى ! »

لا أعرف إن كان غازًا أم لا .. لكنه ينتقل من مؤخرة الطائرة إلى مقدمتها ، ولهذا يجلس الناس فلا يلاحظون ما يدور خلفهم إلى أن يسقطوا هم ، ويأتى دور من أمامهم ..

نظرى ليس بهذه القوة ، لكنى أرى شيئًا كسائل لزج غريب يبلل جدران الطائرة .. تتساقط منه قطرات على الجانبين .. هذا البلل ينتشر من الخلف للأمام كأن الطائرة إصبع طبشور غمسته فى زجاجة حبر . ينتشر ... ينتشر ....

المزيد من الركاب يسقطون ... والبلل يتحرك للأمام ..

صاح (جيسون) وهو ينهض :

« الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوة منه .. »

« الأغنية ليست مجازًا إذن .. هذا الذى يزحف علينا هو (النوم الذى لاصحوة منه) .. هؤلاء ماتوا ! »

قلت وأنا أنهض بدورى :

ـ « لا أظن أنهم ماتوا .. لكن لا فارق لأن النوم سيزحف حتى قمرة القيادة .. هكذا تهوى الطائرة كعصفور أصابته جلطة دماغية .. »

ورأيت المدعو (بيتر) يسقط على الأرض ويده على المسدس .. التفت (ماير) للخلف ليفهم ما يدور .. نادى صاحبه :

ـ « بيتر !... ماذا حد ...... ؟ »

ثم سقط بدوره .. لقد تخلصنا من قرصانين لكن أكون كاذبًا لو قلت إننى سعيد بهذا .. هكذا نهضنا وجذبت الطفلة من يدها فلم تستجب .. قلت لـــ (جيسون) :

ـ « احملها واتبعنى ! »

ـ « ولماذا لا تحملها أنت ؟ »

ـ « لا وقت للجدال .. إن قلبى يدق بفعل القصور الذاتى لا أكثر .. لن يتحمل عشرين كيلوجرامًا إضافيًا .. هيا ! »

ـ « فلنتركها هنا ! أنت تعرف أنها ليست طفلة .. »

ـ « لهذا السبب بالذات أعتقد أنه من المفيد أن تكون معنا .. »

هكذا حمل الطفلة وركضنا نحو قمرة القيادة ، ودققنا الباب كالمجانين ..

نظـرت للخلف فوجدت أن الهـول يقتـرب فلا تفصلنا عنه إلا خمسة صفوف من المقاعد .. ورأيت الأديبة (فاتن) قد مال رأسها للخلف وأغمضت عينيها حيث جلست ..

افتحوا !.. افتحوا يا حمقى !...

لو نمنا نحن فلسوف نصحو فى العالم الآخر ..

فتح (هانز) الباب شاهرًا مسدسه ورفع حاجبيه متسائلاً ، فصحت فيه :

ـ « أدخلنا بسرعة وأغلق الباب . لا وقت للشرح ! »

نظر للخلف وراءنا فرأى المشهد الغريب أو ما استطاع أن يلمحه منه .. ارتبك لدرجة أنه سمح لنا بالدخول ، فأغلقت الباب خلفى بقوة .. هل هو محكم ؟... هل يمكن لشىء أن يتسرب من تحته ؟؟.. لا ...

ـ « ما الذى يحدث بالخارج ؟.. من هذه الطفلة ؟ »

قالها وصوب المسدس إلى رأسى .. طبعًا أول ما فكر فيه هو أن أحدهم فجر قنبلة بها مادة مخدرة .. الطريقة المثلى لمكافحة إرهابيين مسلحين ..

أشرت إلى الطفلة وقلت :

ـ « أقدم لكم (شارون) .. الأغنية تقول : الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن .. ونهر ستيكس Styx هو النهر الذى يعبره من يموتون إلى العالم الآخر ، يقودهم المعداوى (شارون) ... إذن هذه الطفلة هى من سيعبر بنا إلى العالم الآخر ..!! »

هتف (جيسون) :

ـ « بالضبط .. هذا هو ما أردت قوله قبل أن يبدأ زحف ذلك الشىء .. »

وقف (مولر) أمامنا وبملامحه القاسية التى لا تمزح تساءل :

ـ « عم تتكلمون ؟.. ما هذه القصة الغريبة ؟ »

هكذا حكيت له كل شىء فى نصف دقيقة .. وهذه المرة بدا لى أنه فقد حذره واحترافيته فتكلم .. لم يقل كل شىء طبعًا لكنه ذكر شيئًا عن (كلاوس) والمهمة التى تم تغيير وجهتها فى آخر لحظة .. الأغنية .. وكان رأينا جميعًا متفقًا على شىء واحد : العلبة التى كان ذلك الفتى يحملها والتى مزقته .. كانت هذه العلبة تحوى الشىء .. الشىء الذى يزحف عبر الطائرة ويتقدم نحو الباب ..

ربما كانت الفتاة هى المندوب ، لكن هذا الشىء يساعدها .. أو ربما هى نذير بقدومه ..

هنا انهالت الضربات على الباب من الخارج ..

صحت فى (مولر) آمرًا :

ـ « لا تفتحوا !.. ما دام هذا الشىء يطرق الباب فهو عاجز عن فتحه .. عاجز عن الدخول .. لو لم نلحق بكم هنا لفتحتم الباب ودخل .. »

أخرج مسدسه وصوبه نحو الباب وفرد ذراعه ، فعدت أصيح :

ـ « لا !.. لا تحدث ثقوبًا ..!.. تعامل معه كغاز قادر على التسرب لو وجد فجوة ! »

ـ « غاز يقرع الأبواب ؟ »

ـ « إنه قادم من ذلك العالم الذى توجد فيه دببة فى حمامات الطائرة .. لا تنس هذا .. »

بوم !.. بوم !..

القرعات تتواصل ....

سألنى (مولر) وهو يعيد المسدس إلى نطاقه :

ـ « ماذا نفعل ؟ »

ـ « لا أرى حلاً سوى أن نبقى هنا وأن نحاول الهبوط فى سلام .. فى نيويورك يمكنكما شرح الأمور لقوات المطار .. يمكنكما التفاوض أو الاستسلام .. أى شىء .. المهم أن نبقى أحياء .. »

ـ « أنت شديد الحرص على حياتك .. »

قالها ساخرًا فقلت بشىء من الضيق :

ـ « هى ليست تهمة مشينة ، لكن أؤكد لك على سبيل الدقة أننى لا أبالى بحياتى أو مماتى ولن يخسر أحد شيئًا بفقدى حتى أنا ، لكنى أعرف يقينًا أن هؤلاء المسافرين أحياء وأنهم سيموتون فى حالة واحدة فقط هى سقوط الطائرة .. ولمزيد من الصراحة أقول إننى لا أبالى بحياتكم معشر الخاطفين لحظة ، ولربما اعتبرت وفاتكم مشهدًا مسليًا .. لكن من مصلحة الجميع أن تصل هذه الطائرة لوجهتها .. »

كنت أتكلم وأنا أنظر لوجهه .. هنا رأيت عينيه تتسعان رعبًا ثم وثب ليزيحنى جانبًا ويمسك بالطفلة فيلقى بها جانبًا..

كانت موشكة على إزاحة المزلاج لتفتح الباب ..!.. برغم قصر قامتها كانت قادرة على ذلك ، وللمرة الألف فى حياتى أتذكر المشهد المخيف من رواية (دراكيولا) لفان هلسنج وهو يجلس

وسط دائرة الطبشور مع مينا ، بينما مصاصات الدماء يدرن حوله باحثات عن ثغرة .. هنا يلاحظ أن مينا ليست على ما يرام .. إنها تتغير .!. من قال إنك فى أمان خلف هذا الجدار إذا كنت تتوارى هناك مع شيطان ؟

بوم !.. بوم !..

القرعات تتواصل ....

الطفلة خطرة .. أعرف هذا .. لكنى أراهن على أن وجودها معنا قد يحمينا ..

ــ « راقبا أنتما هذه الشيطانة ! »

قالها لى و(جيسون) آمرًا ، وكان ما فعلته قاسيًا لكنه بسيط ومنطقى .. نزعت ربطة عنقى وقيدت معصمى الطفلة خلف ظهرها .. لو كانت مجرد طفلة فأنا وحش ، لكن لو كانت شيطانًا فأنا عبقرى ..

راقب (مولر) ما أفعله ولم يعلق ، ثم التفت إلى طيارنا الفرنسى الهاوى ، وسأله :

ــ « كم بقى من وقت ؟ »

ــ « نصف ساعة .. أعتقد هذا . .. »

والتفت الطيار الشاب المذعور المسئول عن الاتصالات وقال :

ــ « نصف ساعة فعلاً .. إنهم يسمحون لنا بالهبوط .. »

قال (مولر) :

ــ « حاول أن تسرع أكثر.. »

ثم صوب مسدسه نحو رأس الطفلة .. وقال بعد لحظة تفكير :

ــ « ما رأيك فى أن أفجر رأسها الآن ؟ »

* * *

-7-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

اكسى فلوسكنت أربوريس

لاسكيف كانونت فولوكريس

دولشيس آمور !

* * *

الطائرة البوينج تحلق فى السماء نحو الولايات المتحدة ..

انطلقــت من القــاهرة فى الظلام . وها نحن أولاء نصل فى الظلام أيضًا ..

طائر يحلق نحــو نهايته مدفوعًا بكلمات أغنيــة غريبة من القرون الوسطى ..

لقد صارت طائرة موتى .. لا يوجد شخص واع سوى فى قمرة القيادة .. وهؤلاء لا يفصلهم عن الغيبوبة سوى باب واه جدًا ، وعندها تكون النهاية ..

هناك على الأرض لابد أن هناك الكثير من الصخب .. لابد أن هناك سيارات إطفاء ورجال من مكتب التحرى الفيدرالى FBI ورجال من السفارة الألمانية وخبراء تفاوض وكشافات ملونة و... و... جو سينمائى ممتاز ، وقد أثارت عبـــارة (عصبة الجيش الأحمر) خيال الجميع .. أى خبر عن (بادر ماينوف) هو خبر صحفى من الدرجة الأولى .. من المؤكد مع (بادر ماينوف) أن الطائرة ستنفجر وأن عددًا لا بأس به من الرهائن ورجال الشرطة سيموتون .. لكنهم لا يعرفون أن الخطر ليس كمــا يتصورون .. إن رجــال (بادر ماينــوف) غلابة مثلنا لا يعرفون ما يفعلون ولا كيف تنتهى الأمور ..

كان (ماير) يصوب المسدس إلى رأس الطفلة المكبلة ، ويقول كأنه يفكر :

ــ « ليس من عادة المناضلين قتل الأطفال ، لكن كل شىء يقول إنها ليست طفلة .. لو فجرنا رأسها فلربما توقف كل شىء .. »

قلت له فى إصرار :

ــ « ولربما تفجر كل شىء .. ولربما كانت الفتاة بريئة .. مجرد طفلة لا أكثر .. لا تفعل .. »

هنا هتف (هانز) فى عصبية :

ــ « وماذا عن الرفاق ؟.. ماذا عن (بيتر) و(هوفمان) ؟ »

هكذا عرفت أن الاسم الحقيقى لــ (ماير) هو (هوفمان) .. لكنى صدقت بصدد (بيتر) .. قلت له :

ــ « هم بخير .. صدقنى .. أنا واثق من ذلك طالما بقيت هذه الطائرة فى الجو .. »

لكنه كان يغلى .. لقد بدأ التوتر يعميه ، والقلق يتخذ صورة وحشية بعيدة عن أى منطق .. عرفت أنه سيرتكب عملاً أحمق ..

العمل الأحمق هو أنه فتح الباب وسط اعتراضنا .. وخرج ..

هكذا وجدنا أننا نقف فى القمرة والباب مفتوح .. نظرت لــ (جيسون) فى عدم فهم وتساءلت :

ــ « ما رأيك ؟ »

ــ « مثل رأيك ... »

بحذر شديد زحفنا إلى الخارج .. لم يكن هناك شىء ..

الركاب على المقاعد حيث هم ، وقد فقدوا الوعى أو ناموا .. دنوت من أحدهم وتحسست نبضه .. إنه حى فعلاً .. لا شك فى هذا ..

هناك بالطبع من سقط فى الممر لأنه لم يحتفظ بتوازنه ، لكنهم كانوا يتنفسون جميعًا ..

لكن أين ذهب ذلك الشىء الذى كان يدق الباب ؟..

هنـــاك فى ركـــن الممر كـــان (هانز) يتحسس عنق صديقه (هوفمان) الغائب عن الوعى .. نعم .. هذا منطقى .. الرجلان حادا المزاج صديقان ..

واصلت البحث بين المقاعد . هذا السائل الذى يبلل معظم الجدران ... واضح تمامًا أنه الشىء الذى كان يزحف نحونا .. لكن ما هو ؟....

فرغ (هانز) من فحص صديقيه ، وفجأة انطلق يركض نحو قمرة القيادة .. ماذا يريد ؟.. لا أعرف .. لكن (جيسون) قال لى همسًا :

ــ « اسمع .. هذه هى الفرصة المثالية .. كنت أحلم بأن أوجد فى عالم فقد الجميع فيه الوعى لأفعل ما أريد .. هذا حلم صبيانى قديم .. »

قلت همسًا :

ــ « كنت أتوق لأن يتحقق هذا الحلم لأسرق كل ما فى متجر بائع الحلوى على الناصية .. لكن لماذا تقول ذلك ؟ »

ــ « إن الذئبين نائمان .. هذه فرصة ذهبية .. راقب الطريق ريثما أفرغ من تجريدهما من السلاح .. على الأقل سوف نواجه اثنين بدلاً من أربعة .. »

وهكذا زحف (جيسون) على ركبتيه حتى بلغ (بيتر) النائم فراح يفتش فى جيوبه .. لم يكن الأمر سهلاً لأن الرجل مدجج كترسانة ... مسدسات .. خنجر .. قنابل يدوية .. لكنه لا يحمل حزامًا ناسفًا .. جمع كل شىء وملأ جيوبه وقذف مسدسًا لأتلقفه وأدسه فى جيبى ، ثم زحف على ركبتيه حتى بلغ (هوفمان) الذى لم يعد (ماير) وبدأ يفرغ ما بجيوبه ..

فى هذه اللحظة ظهر (هانز) من جديد ..

رأيته وأنا أركع على ركبتى خلف مقعد .. كان المسدس فى يده ، وهو يتقدم صوب (جيسون) المنهمك فى التفتيش .. رأيت النظرة النارية فى عينيه .. رأيت الشر ..

ذات نظرة معلم الحساب عندما دخل الصف ليرى (حامد الشوبكى) يلعب الورق مع صديقه .. زحف فى صمت كالقط وفى عينيه ذات النظرة .. ذات النظرة .. حتى صار خلفهما .. ثم ...

لم يعد هناك وقت للتردد .. لو فشلت لن أجد وقتًا للندم ..

وثبت من خلفه إذ مر أمامى ، وبأعنف ما استطعت هويت بمؤخرة المسدس على مؤخرة رأسه الألمانى الصلب .. استدار نحوى فى دهشة وكذا فعل (جيسون) الذى سمع صوت الضربة .. انقض (هانز) على كالذئب المسعور فعلاً ...

تكورت حول نفسى متوقعًا أن يفرغ الطلقة فى ، لكن جاء دور (جيسون) ليهوى بالمسدس الآخر على مؤخرة رأس الرجل فى ذات المكان الذى ضربته أنا ..

هكذا تهاوى الرجل كبالون مثقوب ..

إذن لماذا تكفى ضربة واحدة فى السينما ليفقدوا الوعى ؟ كل شىء سهل فى السينما ، لهذا قرر (هتشكوك) أن يرينا ما يحدث فى الواقع فعلاً .. مشهد البطل والبطلة فى فيلم (خلف الستار الحديدى) وهما يخنقان عميل المخابرات السوفييتية .. استغرق المشهد وقتًا طويلاً رهيبًا وكلفهما الكثير من الجهد .. لا أحد يختنق بالسهولة التى تراها فى السينما ..

تنفست الصعداء ورحت ألهث بينما راح (جيسون) ينزع من الرجل أسلحته ..

قلت له :

ـ « هؤلاء خطرون لو أفاقوا حتى من دون سلاح .. سنفك بعض ربطات عنق الركاب .. يجب تقييدهم بحرص شديد .. »

استغرقت العملية ست دقائق تقريبًا ، وفقد خمسة رجال ربطات أعناقهم ... وفى النهاية صار القراصنة الثلاثة كطيور السمان المربوطة توطئة للذبح ....

قمنا بجرهم لمؤخرة الطائرة بصعوبة بالغة جدًا.. لا يعرف (مولر) أنه الوحيد القادر على الفعل الآن بين رجاله ..

وهنا وقعت عيناى على سيدة غافية فى مقعدها قرب الصف الأخير.. سيدة أجنبية كما هو واضح .. تضع عصابة على عينها ويبدو أنها كانت غافية جدًا قبل أن يصير النوم هو القاعدة ..

لكن هذا الفم والأنف مميزان جدًا ... مددت يدى أزيح العصابة .. ثم إننى رحت أعبث فى حقيبة يدها حتى وجدت جواز السفر ومعه وجدت علبة من الأقراص المنومة ...

هولندية الجنسية .. هذه صورتها .. هناك صورة أخرى كذلك .. ابنتها ...

ــ « جيسون ! »

ناديت الرجل فجاء يتساءل عما هنالك .. فتحت له جواز السفر :

ــ « (شارون فان هوتن) .. أين رأيت هذه الطفلة من قبل ؟ »

صاح فى دهشة :

ــ « إذن هى !.. لها أم ولها جنسية !... ولماذا لم تبد الطفلة أية علامة على أن هذه أمها ؟.. ولماذا لم تستجب الأم لكل البحث عن ابنتها ؟ »

مددت يدى بعلبة الأقراص المنومة وقلت :

ــ « الأم كانت نائمة جدًا .. دعك من أنها بالتأكيد شربت مشروبًا روحيًا مما يقدم على الطائرة .. نتيجة التفاعل قوية جدًا وقد تكون سامة .. هناك كثيرون ماتوا بسبب هذا المزيج القاتل .. »

ــ « وعين الفتاة ؟ »

ــ « الفتاة تعرضت غالبًا لحادث مروع منذ فترة أفقدها عينها وجعلها فى عالم خاص بها .. هذا نوع من داء التوحد autism لا شك فيه .. كل ما ظنناه وما قلناه عن (شارون) التى تقودنا عبر نهر (ستيكس) لا أساس له من الصحة .. واضح أنها سمعت الأغنية هى وأمها من ثم قررنا أن الوقت مناسب جدًا للذهاب للولايات المتحدة .. ما فعلته أنا هو أننى قيدت فتاة مسكينة لأننى حسبتها شيطانًا .. »

ــ « يا للهول !... فلنحررها حالاً .. ثم ... ثم ... »

ثم همس فى شىء من التردد :

ــ « عندى فكرة معقولة عن طريقة الخروج من هذا الموقف .. لكن قد أكون أحمق .. »

ــ « لن يعرف أحد أنك أحمق لأننا سنكون غبارًا تذروه الريح .. »

فجأة اهتزت الطائرة بقوة ..

أدركنا أنها تهبط .. فقاقيع الهواء فى أذنى قالت ذلك بوضوح ..

ومن قمرة القيادة دوت أعلى ضحكة مجنونة سمعتها فى حياتى ...

* * *

-8-

كى تى كاريت هوك تمبور

فى فيليور

سى تينيريم كوام كوبيو

نى نيمورى ساب فوليو

أوسكيولارير كوم جوديو

دولشيس آمور !

* * *

عندما اقتحمنا غرفة القيادة ، كنا قد استعرضنا فى ذهنينا معظم الاحتمالات الممكنة ، لكن ما رأيناه لم يجل بذهنينا قط ..

هناك كانت الطفلة المقيدة راكعة على الأرض تصرخ وتعوى كالذئاب .. هذا كاف لتحطيم الأعصاب فعلاً ، لكن الأغرب هو مولر الذى يقف متمسكاً بالمقعد من الخلف ، وهو يصوب المسدس إلى رأس الطيار الفرنسى الهاوى ..

كان يصرخ فى جنون :

ـ « قلت لك إننى سأفجر رأسك !... تعقل ! »

طبعًا لن يجرؤ على هذا .. أم هل يجرؤ ؟

أما ما نراه فهو أن الطيار يحرك عصا التحكم فى جنون وأن الطائرة تنحدر بسرعة لا تصدق .. يمكنك أن تدرك هذا بجسدك دون أن تنظر إلى أية عدادات ..

وما نراه كذلك هو أن الطيار الفرنسى ضئيل الجسد يضحك فى جنون .. ضحكًا يوشك على تفجير رأسه ..

كانت عيناه حمراوين بلون الدم .. لا أشك فى أنهما تسطعان فى الظلام ..

بينما يصرخ الطيار الشاب المذعور :

ـ « كابتن !... نحن نهبط !.. أرجوك أن تتوقف ! »

القصة واضحة لا تحتاج إلى مزيد من الشرح ..

المندوب هو الطيار الفرنسى الهاوى !... هل كان كذلك منذ البداية وقد خدع الجميع ، أم أن الشىء الذى نوم الطائرة قد تسرب للقمرة برغم كل شىء ، وتسلل إلى دماغه ؟

لا أعرف .. لن أعرف .. لكن الاحتمال الأخير يبدو لى أقرب للصواب ..

وهكذا فالمندوب المكلف بإرسالنا للعالم الآخر هو قائد الطائرة الآن !!

لف (مولر) ذراعه حول عنق الطيار وحاول انتزاعه من المقعد ، لكنه كان راسخًا لا يتزحزح ولم يبد على وجهه أى انزعاج .. فقط واصل الضحك والتمسك بالعصا.. هنا نهض الشاب يحاول معه فلم ينجحا ..

سمة مهمة عرفتها فى هؤلاء الشياطين هى أنهم يستطيعون زيادة ثقلهم ليصير أطنانًا .. كأنهم مسمرون فى الأرض ..

صاح (جيسون) فى (مولر) واللعاب يتطاير من فمه :

ـ « أطلق الرصاص على رأسه .. »

ـ « لكن .. .. »

ـ « لا وقت للتردد !.. أطلق الرصاص !! »

وبعد ذلك ؟.. هل الأخ (جيسون) يجيد القيادة ؟

لكن (مولر) أخرج مسدسه من جديد وأحكم التصويب بعيدًا عن الزجاج طبعًا بحيث تستقر الرصاصة فى جدار القمرة ، ثم أطلق رصاصة .. رصاصتين ...

ثم أنه صرخ كمن لدغته أفعى وألقى بالمسدس وتراجع ..

قليل من الناس من يتحمل هذا المشهد .. أن يرى شخصًا نسفت رأسه تقريبًا لكنه ما زال حيًا ويضحك ...

لم يتراجع بما يكفى ؛ لأن الطيار الفرنسى الهاوى مد يده وأطبقها على حنجرته وهو يضحك تلك الضحكة الشيطانية .. أطبقها فترة قصيرة جدًا ثم طوح به ليستقر هناك عند باب القمرة .. وأدركت من مكانى أن أمره انتهى ...

منظمة (بادر ماينوف) قد فقدت قائد العملية .. هذا واضح ..

لقد عاد الطيار الفرنسى الهاوى ـ الذى لم يعد كذلك ـ يقود الطائرة إلى النهاية ...

ركعت على ركبتى ورحت أتلو الشهادتين وأنا أفك قيود الطفلة الصارخة .. احتضنتها مهدئًا طالبًا الصفح .. وسرنى أنها أحاطت عنقى بذراعيها ..

رأيت جيسون يخرج ورقة وقلمًا من جيبه ، ثم يدون كلمات وهو واقف فى القمرة مستندًا للجدار .. هل جن أخيرًا ؟... لكنه

أمسك بالورقة وبدأ يلقى كلامًا باللاتينية .. لاتينية غريبة جدًا لم أفهم حرفًا منها.. يمكننى دومًا أن أجد مقطعًا مميزًا أو لفظة تشبه مثيلتها فى الإنجليزية ، لكن هذه المرة لا شىء ..

إنه يغنى .. يغنى ..

ماذا يقول بالضبط ؟.. لماذا يرفع صوته بهذه الطريقة ؟

هنا رأيت الطيار الفرنسى يتصلب .. رأسه ينحنى على لوحة القيادة والدم يسيل منه ... ثم .. ثم ..

ثم سقط على الأرض بلا حراك ..

لقد صار مجرد جثة بريئة فجر أحدهم رأسها ..

صحت فى (جيسون) :

ـ « ماذا فعلت ؟ »

كان ينظر للجثة الساقطة على الأرض وقال :

ـ « فيما بعد .. فيما بعد .. الطائرة تهوى بلا توقف .. ماذا نفعل ؟ »

نهض الطيار الشاب المذعور وجلس على المقعد وشد عصا القيادة .. وراح يراقب العدادات .. ثم قال :

ــ « لقد حافظت على ارتفاعنا .. لكن لا أستطيع عمل ما هو أكثر .. يمكن أن ندور وندور إلى أن ينفد الوقود فنهوى .. »

هنا سمعنا من يقول :

ــ « سوف أحاول .. فقط .. ساعدونى .. »

إنه الطيار الأول . الطيار الخبير المصاب بارتجاج فى المخ .. كان يحاول النهوض فيسقط ثانية .. هكذا سارعنا لنضعه على مقعد القيادة ... جلس وتحسس رأسه .. قميصه ملوث بالقىء والدم لكنه يحاول التماسك ..وبيد مرتجفة أمسك بالعصا ...

وعرفت أنه سينتزع آخر قطرات فى بئر وعيه كى يبقى متيقظًا فى الدقائق التالية ..

قال لنا وهو يرتجف :

ــ « سأحاول .. سأحاول .. لكن أخرجوا كومة الجثث هذه واخرجوا أنتم أيضًا .. أربطوا أحزمتكم فالهبوط لن يكون ناعمًا .. »

تعاونت و(جيسون) على جر جثث الطيار الثانى والمضيفة و(مولر) من القمرة .. ثم اصطحبت الطفلة معى للخارج وتمنيت أن يقدر على استكمال مهمته العسيرة هذه ..

أحزمة مقاعد ؟.. لو ربطنا أحزمتنا فمن يربط أحزمة المائتى راكب فى الطائرة ؟.. أعتقد أن علينا أن نأمل فى حظ حسن للجميع ...

جلست والطفلة على حجرى تلصق رأسها بصدرى ، فدفنت أنفى فى شعرها العطر ، وسألت (جيسون) :

ــ « ماذا فعلت ؟ »

ــ « هى محاولة خرقاء لا أكثر .. كان هناك مقطع غنائى ضمن الأشعار يقوم على تلاوة الأبيات السابقة بالعكس ... "

ــ « هناك فى فنون (الأدباتية) فى مصر طريقة مشابهة ."

ــ « كانت الأبيات المقلوبة تقول :

« عندما تسمع هذه الأغنية ، فاهرع لتلحق بالركب ..

« الركب الذى يعبر نهر ستيكس الآن ..

« الموت الزاحف الذى يغرق العقول فى لجته ..

« إنه النوم .. النوم الذى لا صحوة منه ..

« وا حسرتاه !.. لسوف تقضى بظمنك الباخوسى .. »

هكذا قام (جيسون) بكتابة هذه الأبيات وقرأها معكوسة كما كانت فى الجزء الضائع من الأغنية .. كان الاحتمال المجنون فى ذهنه هو أن هذه الطريقة سوف تعكس عمل اللعنة .. يبدو أن هذا تم فعلاً .. هذا أسلوب نسميه فى الطب بالـ (الإمبريقى empiric) .. أن تجرب دون أساس علمى يدعم ما تريد عمله .. لكنه نجح ..

ـ « هل تعنى أن اللعنة زالت ؟ »

ـ « بتاتًا .. هذا غير كاف .. فقط غادر هذا الشىء الشيطانى جثة الفرنسى التى كان يستعملها كوعاء .. هكذا سقطت الجثة بلا حراك .. لا تسألنى عن مكانه الآن .. على الأرجح هو فى الطائرة يبحث عن طريقة أخرى لإسقاطها .. »

هنا نظرت له فى رعب وقد خطرت لى فكرة :

ـ « هل تعتقد أن هذا الشىء الشيطانى غادر جسد الفرنسى ليدخل جسد الطيار الأصلى ؟.. ولهذا أفاق فى هذه اللحظة بالذات ؟ »

لم يرد واتسعت عيناه رعبًا ...

احتمال لا بأس به أبدًا ...

* * *

-9-

مويم إست بروبوسيتام

إن تابيرنا مورى

أوت سنت فينا

بروكسيما مورينتس أورى

* * *

لم نصدق أننا لمسنا الأرض إلا عندما لمسناها فعلاً .. وإلا عندما راحت العجلات تركض فى سباقها المجنون عبر الممر ...

كان طيارًا عظيمًا .. الطيار الذى يهبط بهذه النعومة بينما هو مصاب بارتجاج مخى ، لهو نسر حقيقى ، والأهم أنه (طاهر ومعقم) ... لم يمسه شىء .. لم يتول القيادة ليقتلنا ...

أخيرًا توقفت الطائرة ..

لم تكن هناك مضيفة ترحب بنا أو طيار يشكرنا ويخبرنا بالتوقيت وحرارة الجو ..

فقط صمت بليغ ... صمت ينذر بكارثة ...

ورأينا عشرات السيارات تلحق بالطائرة وتحيط بها من كل الجهات .. هناك سلم متحرك ... طبعًا الطيار الشاب المذعور أخبرهم بكل شىء ....

نظرت حولى فأدركت أن ركاب الطائرة المنكوبة يعودون لوعيهم ببطء .. هذه أول مرة يفشل فيها المندوب على قدر علمى .. على الأرجح لم يعد خطة بديلة ولم يكن الوقت كافيًا ...

مرت لحظات ثقيلة طويلة ..

ثم سمعت باب الطائرة يفتح ..

نهضت مسرعًا واتجهت إلى الباب .. هذا هو السلم المتحرك يسبح فى الأضواء .. سوف أهبط .. أريد أن أشعر بالأرض تحت قدمى من جديد ..

هنا صاح (جيسون) من خلفى :

ـ « انتظر يا دكتور .. لا بد من واحد منهم يصعد للطائرة أولاً .. من الممكن أن يمطروك بالطلقات على اعتبار أنك من القراصنة .. »

لكنى اتجهت للباب ووقفت أعلاه وفتحت ذراعى فى نشوة .. الخلاص ...!

بدأت أنزل خطوة بخطوة وسط الأضواء التى تغمر السلم ..

أغمضت عينى كى أرى أفضل وواصلت النزول ، بينما أسمع أصواتًا بالإنجليزية تصرخ :

- « **توقف !..**

- « **لا تتحرك !** »

- « **ارفع يديك لأعلى .. نريد أن نراهما ..** »

لكنى واصلت النزول .. هنا سمعت (جيسون) يصرخ بأعلى صوته :

- « **لا تطلقوا الرصاص !... إنه لا يعرف ما يفعله ..** »

ومن مكان ما تصايح أكثر من واحد ألا يطلقوا الرصاص .. لكننى على كل حال كنت قد بلغت الأرض ، فالتف حولى

عشرة من ضباط المطار ... وقد أحسنوا استقبالى بالطريقة الأمريكية كأنهم يمثلون فيلمًا سينمائيًا .. يمكنك أن تتخيل ..

وجدوا أسلحة معى .. هكذا صار موقفى أسوأ بكثير ..

فى النهاية وجدت نفسى مقيدًا بالأصفاد فى سيارة تبتعد بسرعة البرق عن الطائرة ، ونظرت للخلف فرأيت الرجال يصعدون إلى الوحش الساخن الجاثم على أرض المطار يلتقط أنفاسه .. سوف يكتشفون أشياء غريبة جدًا ، ولسوف تطول التحقيقات لعدة أيام ...

لكن ..

ما معنى هذه الحماقة التى قمت بها ؟

لو كان الرجال أكثر توترًا أو انفلات أعصاب ، لحولونى إلى مصفاة ..

لماذا لم أبال بالتحذيرات ولا الخطر ، ولماذا تصرفت بهذا الغباء ؟

ثم فهمت ...

أنا نفسى قد سمعت الأغنية مرارًا لذا صرت أنا واحدًا آخر ممن يشعرون برغبة ملحة لعمل شىء ما .. هناك من يركب اليخوت ومن يجرى جراحة لا لزوم لها ومن يستقل المصعد دون سبب ..

وهناك من يتجاهل إنذار عشرات البنادق المصوبة نحوه ..

* * *

-10-

تونك كانتابونت ليتيوس

أنجيلورام كورى

دوس سيت بروبيتيوس

ويك بوتاتورى

* * *

فى الأيام التالية التقينا كثيرًا جدًّا نحن معشر الركاب .. والتف حولى محققون كثيرون جدًّا فى غرف خافتة الإضاءة يسجلون كل كلمة ...

عرفت قصة (فاتن) وقصة رجال (بادر ماينوف) وقصة الزوجين الفرنسيين ... لقد نجا الطيار من الارتجاج ، والكل يعرف أنه بطل حقيقى تماسك حتى أوصلنا لبر السلامة .. وجدوه فاقد الوعى مرتميًا على عجلة القيادة ..

الأم الهولندية قالت لى وهى تدخن فى عصبية :

ــ « منذ أصيبت (شارون) بتلك الشظية المعدنية فى عينها ، رفضت أن تركب عينًا زجاجية .. وصارت أقرب إلى النبات ..

الاتصال بيننا شبه مستحيل.. إنها فى عالمها الخاص الذى لا يمكن الوصول له .. أما أنا فقد خلقت عالمى الخاص من أقراص المهدئات والشراب ، وأعتقد أننى كنت فى شبه غيبوبة عندما ركبنا الطائرة .. لم أدر متى تركتنى ومضت تجول كالطيف بين المقاعد .. »

قلت لها :

ــ « كنت طبعًا فى سياحة بالقاهرة ، ثم وصلك ذلك الشريط الذى حرك مشاعرك فقررت السفر للولايات المتحدة فجأة .. »

ــ « كيف عرفت ؟ »

ــ « لأننى عبقرى .. »

قلتها فى بساطة وابتسمت فى خبث لنظرة الدهشة فى عينيها ..

أما عن الزوجة الفرنسية التى فقد زوجها رأسه بالمعنى الحرفى للكلمة ، فقد كانت حالتها سيئة لا تسمح بالسؤال .. عرفت أنها قابلته للمرة الأولى منذ أسابيع ، فهل كان يعبث بها من أجل هذا الدور لا أكثر ؟.. أم هو رجل برىء حوله ذلك الشىء الشيطانى إلى وعاء يقود به الطائرة ؟

لا أعرف ....

بالنسبة للشرطة الأمريكية كان تفسير ما حدث عجيبًا .. لكن القصة كانت إلى حد ما قابلة للتركيب .. (مولر) كاد يقتل قائد الطائرة الأصلى ، ثم قتل الطيار الفرنسى الهاوى ، لكن هذا لم يمت قبل أن يأخذه معه للجحيم .. كل شىء وكل جثة على الطائرة تم اتهام القراصنة الأربعة بها ، وإن ظل السؤال قائمًا : كيف مزقوا صدر ذلك الفتى المصرى (محمود) ؟

لقد فقد معظم الركاب وعيهم بسبب الهبوط السريع للطائرة وسرعة تغير الضغط ... هذا هو التفسير الوحيد لدى خبراء المكتب الفيدرالى ..

والآن يا سادة قد حان موعد نشرة الأخبار المسائية .. لقد أصغيتم لى طويلاً وحان وقت معرفة ما يدور فى العالم :

الأديبة المصرية (فاتن الشرقاوى) التى تزور الولايات المتحدة حاليًا قد عرفت بالقصة ، وصدقت هذا الهراء الذى يقوله المخبول (رفعت إسماعيل) ، واتصلت بالإذاعة فى مصر سائلة عن أخبار البرنامج .. عرفت قصة الشريط الذى أرسله مجهول للإذاعة .. عرفت أن مهندس الصوت فقد حياته فى حادث انقلاب سيارة وهو ذاهب للإسكندرية . اتصلت بالمعد

الشاب (فادى) وأمرته ألا يذيع الشريط بأى ثمن .. فليدمره الآن حالاً ..

ــ « لكنه تحفة فنية .. لو أنك سمعته .. »

ــ « لا تناقش .. أنا سمعته وأعرف معنى ما أقول .. دمر الشريط حالاً .. »

صمت طويلاً .. لم يكن مقتنعًا لكنه مرغم على ذلك ..

وضعت السماعة ونظرت لى وتنهدت ..

قالت وهى ترتجف :

ــ « لو أذيع هذا الشريط .. كانت ستحدث كارثة .. »

ثم أضافت وهى تخرج منديلاً لتمسح عينها :

ــ « عرفت كذلك أن كلبى قد مات ! ! »

الآن ننتقل إلى القاهرة حيث وقعت عدة حوادث غريبة فعلاً .. مثلاً قصة مدرس الكورال الذى علم نشيدًا لاتينيًا لأفراد فرقته فى قصر الثقافة ، وقد مات كثيرون من أفراد هذه الفرقة .. هناك وفيات بين أشخاص سمعوا شريطًا يذاع فى محل شرائط بصوت عال ، وصاحب المحل لا يعرف من أرسل له هذا الشريط ..

الحقيقة إن أبيات الجوليارد كانت تحاول التسرب جاهدة .. كانت حية مصممة على الحياة مستقلة .. لقد قررت ألا تغيب ثانية فى هذا الجب الذى دفنها فيه (كارل أورف) ..

انتهت النشرة ونعود لقصتنا ...

* * *

قلت لــ (مولر) ونحن نحتسى القهوة فى ذلك المطعم الصغير فى نيويورك :

ــ « لكن اللعنة حية وحرة .. وهناك بالتأكيد من يذكر اللحن جيدًا .. هناك من أرسل الشرائط للناس وهو ما زال حرًا .. هناك ذلك الشيء الذى هاجمنا فى الطائرة .. »

قال باسمًا :

ــ « أنت تعرف من كان يرسل الشرائط للناس .. تعرف من هو (كامل) الذى أعطى ذلك الفتى العلبة لتهريبها .. أنت فقط تحشى الاعتراف لنفسك بهذا .. لقد لعب الجوليارد لعبة قاسية سادية تليق بهم ، ولا تختلف كثيرًا عن الحمار الذى يلبس ثيابًا مزركشة ... يجب أن نجد (كامل) هذا ونقضى عليه .. أعتقد أن على العودة إلى بافاريا للبحث عن المزيد من المخطوطات .. »

ثم مال على وهمس :

ــ « أنـــت رجـــل واسع التجربة ، وتتوقع وتفهم أننى أبقيت نسخة من تلـــك المخطـــوطات فى خزانة ســـرية .. كنـــت آمل ألا أفتحها أبدًا ، لكن الضرورات تبيح المحظورات .. وأنا أعتقد أن هناك طريقة ما لتدمير هذه اللعنة .. طريقة كالتى ابتكرتها فى الطائرة ، ولابد أن أورف استعملها عندما كان يعمل مع النازيين »

فكر قليلاً ثم أردف :

ــ « سوف أحاول الاتصال به .. سوف أهدده وأضغط عليه لأعرف ما يعرفه بالضبط .. »

أنت تعرف أن (أورف) توفى عام 1982 لهذا كان حيًا وقت وقوع هذه الأحداث ..

ثم أن (جيسون) أخرج ورقة نقدية ودفع الحساب لنا ونهض ..

مد يده يصافحنى وقال :

ــ « أعتقد أننا لن نلتقى ثانية .. أتمنى لك حظًا حسنًا .. وكن حذرًا فى أية نزوة مجنونة تقدم عليها .. قد لا تكون جنونًا .. قد تكون مجرد نداء ! »

وغادر المكان ورحت أرقبه يبتعد فى الشارع المزدحم من خلف زجاج المطعم .. بالفعل كانت هذه هى المرة الأخيرة ...

لا أعرف السبب لكنه بدا لى كأنما يمشى على إيقاع (كارمينا بورانا) ... وهكذا رحت أردد فى سرى بشفتين شبه مغلقتين ما بدا لى كأنها موسيقا تصويرية لمشيته :

سمبر كريسيس ..

أوت دكريسيس

فيتا ديتستابيليس ..

نونك أوبدورات

إ توتك كيورات

لودو منتيس آسييم ..

إيجستاتيم

بوتستايم ..

ديزولفيت أت جلاسيم ..

* * *

عندما عدت من الولايات المتحــدة ، كان (هن تشو كان) بانتظارى ، وكانت لنا قصة مع الطفيل ... الطفيل الذى لم يكن خصمًا سهلاً بأى حال ..

لكن هذه قصة أخرى ....

* * *

د. رفعت إسماعيل

القــاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسلة ●

1 - أسطورة مصاص الدماء .
2 - أسطورة النداهة .
3 - أسطورة وحش البحيرة .
4 - أسطورة آكل البشر .
5 - أسطورة الموتى الأحياء .
6 - أسطورة رأس ميدوسا .
7 - أسطورة حارس الكهف .
8 - أسطورة أرض أخرى .
9 - أسطورة لعنة الفرعون .
10 - أسطورة حلقة الرعب .
11 - أسطورة الكاهن الأخير .
12 - أسطورة البيت .
13 - أسطورة اللهب الأزرق .
14 - أسطورة رجل الثلوج .
15 - أسطورة النبات .
16 - أسطورة الناقارای .
17 - أسطورة حسناء المقبرة .
18 - أسطورة الغرباء .
19 - أسطورة بو .
20 - حكايات التاروت .
21 - أسطورة عدو الشمس .
22 - أسطورة المينوتور .
23 - أسطورة رعب المستنقعات .
24 - أسطورة إيجور .
25 - أسطورة الجنرال العائد .
26 - أسطورة المواجهة .
27 - أسطورتنا .
28 - أسطورة آخر الليل .
29 - أسطورة الجاثوم .
30 - أسطورة بعد منتصف الليل .
31 - أسطورتها .
32 - أسطورة رفعت .
33 - أسطورة أرض المغول .
34 - أسطورة الشاحبين .
35 - أسطورة دماء دراكيولا .
36 - أسطورة الفصيلة السادسة .
37 - أسطورة الدمية .
38 - أسطورة النصف الآخر .
39 - أسطورة التوءمين .
40 - وراء الباب المغلق .
41 - أسطورة فرانكنشتاين .
42 - أسطورة الكلمات السبع .
43 - أسطورة تختلف .
44 - أسطورة رجل بكين .
45 - أسطورة بيت الأفاعى .
46 - أسطورة طفل آخر .
47 - المنزل رقم (٥) .
48 - المومياء .
49 - أسطورة العشيرة .
50 - فى جانب النجوم .
51 - أسطورة الرقم المشئوم .
52 - أسطورة مملة .
53 - أسطورة النبوءة .
54 - أسطورة العراف .
55 - أسطورة (###099) .
56 - أسطورة ملك الذباب .
57 - أسطورة المقبرة .
58 - أسطورة أرض العظايا .
59 - أسطورة رونيل السوداء .
60 - أسطورة المتحف الأسود .
61 - أسطورة الشىء .
62 - أسطورة صندوق بندورا .
63 - أسطورة المحركين .
64 - أسطورتهم .
65 - أسطورة العلامات الدامية .
66 - أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك !
67 - أسطورة بيت الأشباح .
68 - أسطورة أرض الظلام .
69 - أسطورة نادى الغيلان .
70 - الحلقات المنسية .
71 - أسطورة الظلال .
72 - أسطورة الطوطم .
73 - أسطورة شبه مخيفة .
74 - أسطورة أغنية الموت .

مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفـاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة أغنية الموت

سمبر كريسيس ..
أوت دكريسيس
فيتا ديتستابيليس ..
نونك أوبدورات
إتونك كيورات
لودو منتيس آسييم ..
إيجستاتيم
بوتستايم ..
ديزولفيت أت جلاسيم ..

العدد القادم

أسطورة الطفيل





الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم